محافظة الدقهلية

محافظة الدقهلية

مهرجان الذكرى الأولى لوفاة

أحمد لطفي السيد

أستاذ الجيل

٢٨/٢٩ مارس ١٩٦٤



مقدمة

احمد لطفى السيد من الأعلام النادرة فى مصر بل فى الشرق العربى عامة . فهو رائد من رواد النهضة الفكرية والثقافية والوطنية . وكان لاتزانه وأفكاره من الأثر فى أبناء جيله ، فى نصف القرن الأخير ، ما أهله لأن يلقب بأستاذ الجيل .

وقد حرصت محافظة الدقهلية ، وهو من ابنائها ، على أن تسهم فى تخليدذكراه فأقامت مهرجانا فى مدينة المنصورة عاصمة الاقليم ، لمناسبة الذكرى الأولى لوفاته دعت اليه صفوة ممتازة من العلماء والمفكرين الذين اتصلوا بالأستاذ الكبير وتحدثوا عنه فى نواحى نشاطه المختلفة حديث الدارسين . وفى الصفحات التالية تسجيل الكلمات التى ألقيت فى هذا المهرجان ، وقد قصد بنشرها تأكيد تقدير المحافظة لعظيم من ابناءها ، واتاحة الفرصة لجمهور الدارسين والمثقفين لأن يفيدوا منها على قدر ما أفاد ابناء جيله من أفكاره ومبادئه .

إسماعيل فريد

محافظ الدقهلية

كلمة افتتاح المهرجان

ألقاها: السيد عقيل مظهر

سكرتير عام المحافظة

بسم الله

بسم الله الرحمن

بسم الله الرحيم

نفتتح نيابة عن محافظة الدقهلية المهرجان الأول لذكرى رجل من عمد الفكر والسياسة والفلسفة والصحافة فى العصر الحديث ... مهرجان أحمد لطفى السيد .

الرجل الذى طواه الثرى كما طوى غيره من أبناء البشر وكما سيطوى غيره من الملايين حتى تصل الانسانية الى نهاية الطريق فى اليوم الموعود .

ان التراب وان كان قد تطاول الى جسد لطفى السيد الترابى كأجساد أقرانه من المفكرين وأصحاب الرسالات فأنه لن يستطيع الدنو من أرواحهم التى لن تموت ... لن يستطيع ذلك التراب أن يدنو من النور الذى خلفته عقولهم وأفئدتهم ... اننا جميعا سوف نصبح فى يوم من الأيام خرقا باليات تخلعهم الانسانية على طريق الحياة وتخلفها وراءها الا ذلك النفر القليل الذى تمتد به الحياة بعد موته ، فيبقى مصباح حياته مضيئا ينير الطريق للانسانية حتى تستطيع أن تعبر ذلك البحر اللجى متلاطم الأمواج ... بحر الوجود الانسانى ، وحتى تستطيع أن تعبر مسالك ذلك الطريق الموحش والكهوف والأخاديد والأغوار ... طريق الحياة .

فاذا مات واحد من أصحاب الفكر وحملة المبادىء والرسالات ، فان ضياء فكرهم ، ونور رسالاتهم تبقى ما بقيت تلك الانسانية ، تكشف ظلمات ذلك البحر وتضيىء مسالك ذلك الطريق الوعر .

لقد كان لطفى السيد وسوف يكون دائماً واحدا من هؤلاء ، ولذلك :
فقد دعوناكم فى ذكراه الأولى ، لاقامة هذا المهرجان الكبير مع اعتقادنا بأن تخليد ذكرى العظماء لا يكون بكلمات تلقى أو قصائد تنظم بقدر ما يكون بالعمل على مد مصابيح حياتهم بأسباب البقـاء واستمرارها فى اشعاع المعرفة والعلم والثقـافة . فلنتلمس ذلك المصـباح بعقولنا ، وتتحسسه بقلوبنا ، تتعهده بالصيانة والحفظ حتى يبقى وحتى يظل ينير للانسانية طريقها .

وأنه لما يدعو الى الأسى أن يمر عام على وفاة أحمد لطفى السيد أستاذ الجيل كما يجب ، ولا يلتفت أحد أو هيئـة الى ذلك كأن لطفى السيد ثوب عادى خلعته الانسانية على طريقها .

ان الحكم المحلى ممثلا فى محافظة الدقهلية ليسعده أن يكون أول المحتفلين بذكرى ذلك المعلم الكبير وهو يعتقد جزما ويقينا أن القلب والفكر هما المعدنان النفيسان من معادن النفس البشرية ، فأولاهما اهتماما كبيرا على قدر طاقته ، فعمل على انشاء جامعة المنصورة ذلك الحلم الذى بدأ تفسيره وقد اتضح فى أول كلمة من كلمات الجامعة ... كلية الطب .

ثم سار الحكم المحلى على نفس المخطط فقـام بانشاء أول جمعية تعاونية للطبع والنشر فى الأقاليم .. فى قلب الريف برأس مال قدره مائة وخمسون ألفا من الجنيهات . والجمعيات التعاونية هيئات لا ترمى الى الكسب فتكون دار الطباعة أداة فعالة فى نشر الفكر والثقافة بعد أن طال علينا الأمد نعانى من دور النشر وأصحاب المطابع الذين كانوا يضعون القيود المـادية على عقول المفكرين حتى بقى الكثير من أعمالهم الفكرية والأدبية فى طى الكتمان ... وتستمر محافظة الدقهلية فى نفس المخطط فتعمل على انشاء أول صحيفة اقليمية صدرت منذ سنتين كتجربة رائدة ثم تتطور لتصبح مجلة أسبوعية تطبع فى مدينـة المنصورة ... وتعقد الندوات والمحاضرات بصفة دائمة ومستمرة ، وتقام المهرجانات الأدبية والفنية ويحتفل دائما بذكرى أبناء الدقهلية من المفكرين والأدباء والفنانين.

يسعد الحكم المحلى الذى يسير على ذلك المخطط ألا تنتهى تلك الاحتفالات وخاصة هذا المهرجان على وجه التحديد بانتهاء أيامه ... ولكنه يريد أن يكون نقطة البداية التى ينطلق من بعدها الفكر ... فكركم أنتم يا أئمة العلم والأدب والصحافة ، ليرى أبناء هـذه المحافظة والمحافظات الأخرى من خلاله أحمد لطفى السيد المفكر الفيلسوف ، السياسى الصحفى والأديب .. نريد أن يعرف كل فرد منا من هو لطفى السيد .. ما هى فلسفته ... ما هو منهاجه ... ما هى مبادئه .

يسعد الحكم المحلى أن يلقاكم دائما وفى يد كل منكم بحثا عن لطفى السيد ... يسعده أن يراكم مجتمعين على مائدة واحدة لوضع تخطيط شامل لتخليد ذكرى أحمد لطفى السيد وأمثاله ، يسعده أن يرى فى هذا الاقليم أول مدرسة بل أكاديمية باسم أحمد لطفى السيد تتعهدونها أنتم بالرعاية حتى لا تخبو مصابيح المعرفة التى أوقدها ، وحتى لا يعلوها الصدأ ، وتصبح هى الأخرى — كأثوابنا القديمة التى خلفتها الانسانية على الطريق .

ان الاستعمار والتخلف غرسا فى عقولنا الأوهام والخرافات ، وفى قلوبنا العلل والأمراض ، فلنسع الى غذاء لتلك العقول الخاوية ولنبحث عن النور لتلك القلوب الواجفة . ان الدولة تسعى سعيا حثيثا نحو توفير لقمة العيش لتلك الجموع التى خلفتها الرأسمالية وليس فى يدها كسرة خبز تشبع بها بطونها ، وتسد بها فراغ أمعائها ... ونريد منكم يا أهل الفكر والثقافة والعلم أن تمدوا لنا أيديكم بالمساعدة — نحن أبناء الريف وسكان القرى والكفور — لنسد بما فى عقولكم وقلوبكم من علم ومعرفة حاجتنا الملحة من الغذاء الروحى والفكرى ... فلقمة العيش وحدها لن تكفينا وان توفرت .

لقد كانت الكلمة فى الماضى جائعة تتسول فى الطرقات ، أما الآن فأنها فى حماية الدولة ولها مهابتها ورسالتها الأولى . ان العصر الاشتراكى

يحملكم مسئوليته الكبرى في تحقيق اشتراكية الثقافة على أوسع مدى وفي أرحب ميادينها.

وفي النهاية ترتفع من قلبي أسمى كلمات الشكر لكم على تفضلكم بالحضور للمشاركة في هذا المهرجان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الدكتور طه حسين

في حفل تأبين المرحوم الأستاذ أحمد لطفي السيد

ليس على طول الحياة ندم

ومن وراء المرء ما يعلم

يموت والد ويخلف مولو

د وكل ذي أب يتيم

وأشهد أيها الزملاء والسادة لقد فقدت كثيراً من الاخوان والأصدقاء الأحباء الى نفسي، الكرام علي، فوجدت ما يجد الإنسان من اللوعة والأسى لفقد الاخوان والأصدقاء، ولكني أجد من ذلك لفقد هذا الأب البر والأستاذ الكريم والصديق الحميم أحمد لطفي السيد ما لم أجد مثله قط لفقد أب أو أخ أو صديق.

لقد عرفته في الثامنة عشرة فاتصل الود بينه وبيني أكثر من نصف قرن؛ ثم فقدته الآن أحب ما كان الي وأكرم ما كان علي، وآثر ما كان عندي.

لم يكد يلقاني لأول مرة حتى امتلأ قلبي اكباراً له وإعجاباً به وتمنيت لو أتيح لي أن ألقاه في كل يوم، وكنت أعتقد بل كنت أثق بأني انما أتمنى شيئاً لا سبيل اليه. وأين يكون طالب في الأزهر لا خطر له من مدير الجريدة، ذاك الذي كان حديث الناس في كل بيئة وفي كل مكان — وهو أحد الناس يقرأون مقالاته الرائعة في الجريدة كل مساء.

ولكن لم أصدق أذني حين هممت بالانصراف عنه فسمعت صوته العذب يطلب الي أن أعود لزيارته كلما أحببت ذلك. سمعت هذه الدعوة الكريمة فلم أملك نفسي من الابتهاج والغبطة، وأكببت على يده أريد أن أقبلها كما كنا نقبل أيدي أساتذتنا في الأزهر. ولكنه يمتنع علي وما أشعر الا بقبلة يضعها على جبهتي فأنصرف من عنده وقد ملكني العجب والتيه.

ثم تتصل زيارتى له واذا أنا ألقى منه حنانا وعطفا يزدادان كلما اتصلت الزيارات .

ثم أرانى أختلف اليه فى مكتبه أكثر أيام الأسبوع،واذا أنا قد أصبحت له تلميذا لا ألم به مرة الا استفدت منه علما جديدا وعلما بأشياء لم تكن تخطر لى ولا لزملائى من الطلاب الأزهريين .

كان يحدثنى عن أوربا ويذكر لى أسماء لم أسمع بها من قبل أن ألقاه .

يذكر لى فولتير وروسو ومنتسكيو .

ويحدثنى عن أثر هؤلاء فى بيئاتهم الفرنسية وعما كانوا يكتبون ، وعما كان يعرض لهم من الأحداث وعما كانوا يهيئون لوطنهم من هذه الثورة الفرنسية الكبرى التى لم أسمع بها قبل أن ألقاه ثم فتنت بها فتنة أى فتنة بعد أن سمعت منه بعض حديثها .

وكذلك أصبح لى أستاذا وفيا وأصبحت له تلميذا . واذا هو يغرينى بتعلم اللغة الفرنسية فأسمع منه ثم أقول لنفسى وربما قلت له : وأين أنا من اللغة الفرنسية ؟

ثم تفتح الجامعة المصرية فيغرينى بالالتحاق بها والاختلاف الى ما سيلقى فيها من الدروس والمحاضرات .

واذا هو ثانى اثنين فتحا لى من أبواب المعرفة مالم يكن يخطر لى على بال أحدهما (١) كان يحدثنا فى الأزهر عن الأدب العربى القديم والثانى كان يحدثنى ويحدث كثيرا غيرى من طلاب المدارس العليا عن الحياة الأوربية الحديثة وما يملؤها من فنون المعرفة .

واذا أنا أنصرف عن دروس الأزهر الى حديث هذين الأستاذين الكريمين ثم أرانى اكتب المقالات قصارا أحيانا وطوالا أحيانا أخرى وأعرضها عليه فيصلح ما يحتاج منها الى الاصلاح ويأمر بنشرها ويشجعنى على المضى فى الكتابة .

---

(١) هو المرحوم الاديب الكبير الشيخ سيد المرصفى .

ومهما أقل ومهما أكتب فلن أستطيع أن أصور كما ينبغى تأثير هذا الأستاذ الجليل فيمن كان يختلف اليه مثلى من الشباب . فقد أحيانا حياة جديدة ، وفتح أمامنا من الآفاق مالى يستطع أحد غيره أن يفتح أمام الشباب .

كان يحدثنا فى غير تكلف عن السياسة المصرية وعن السياسة العالمية ولأول مرة سمعنا منه ألفاظ الديمقراطية والارستقراطية وحكم الفرد وحكم الجماعة وحق الأمة فى أن تحكم نفسها بنفسها ولنفسها ، وآراء أرسططاليس وأفلاطون مولانا أرسططاليس وسيدنا افلاطون ــ كما كان يقول ــ فى أنواع الحكومات على اختلافها وعن آراء مونتسيكيو فى كتابه « روح القوانين » وآراء روسو فى كتابه « العقد الاجتماعى » .

ذلك كله الى ما كنا نقرأ فى مقالاته من أن الأمة هى الكل فى الكل ومن أن مقام الأمة فوق كل مقام ، ومن أن الحكام ليسنوا فى حقيقة الأمر الا خداما للشعب يخدمونه ويأخذون أجرهم منه ، فاذا استقاموا ونصحوا للشعب فهم خدام أمناء واذا جاروا وغشوا الشعب فهم خدام خونة لا فرق فى ذلك بين أمير ووزير وموظف مهما يكن مركزه . ومنه سمعت لأول مرة قول أبى العلاء :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها

وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ماذا أقول ؟ بل منه سمعت لأول مرة أن أبا العلاء قد أخذ فلسفته العملية والنظرية عن الفليسوف اليونانى أبيقور الذى زهد فى الحياة ولذاتها اجتنابا للالم والذى أعلن ان الكائنات لم تخلق للانسان بل خلقت كالانسان ، ومنه سمعت قصيدة أبى العلاء المشهورة التى أولها :

أراك مريض العقل والدين فأتنى أنبئك أنباء الأمور الصحائح

وهو الذى حبب الى أبا العلاء حتى أخذت فى درسه واستقصاء أدبه وفلسفته وتقدمت برسالة عنه الى الجامعة ابتغى بها درجة الدكتوراه .

وقد قرأ هذه الرسالة بعد أن قبلتها الجامعة . ولست أنسى يوما لقيته فيه بعد أن فرغ من قراءة هذه الرسالة . فاذا هو يأخذنى بين ذراعيه ويقبلنى قائلا : ستكون ان اجتهدت أبا لعلائنا .

ولست أغلو أيها الزملاء والسادة اذا قلت ان هذا الأستاذ الجليل قد أنشأ فى مصر جيلا جديدا . ولست أنا وحدى الذى يقول هذا بل كثيرون من تلاميذه قالوه وما زالوا يقولونه . فهو أستاذ الجيل غير منازع وهو الذى علم الشباب المصريين حق الأمة فى أن تحكم نفسها بنفسها وعلمهم أن مصر يجب أن تكون لأبنائها وأن تخلص لهم من دون الترك العثمانيين ــ أصحاب السيادة حينئذ ــ ومن دون الانجليز المحتلين .

وقد سافرت بعد ذلك الى أوربا فلم ينسنى ولم أنسه وانما اتصلت الرسائل بينه وبينى ولم أقدم رسالتى عن « ابن خلدون » الى السوربون لأنال بها الدكتوراه الا بعد أن قرأها وأجازها وكلف الجامعة أن تكتب الى بذلك وأن تأذن لى فى تقديم الرسالة كما كانت القاعدة تقضى بذلك فى تلك الأيام .

ثم عدت من أوربا أستاذا فى الجامعة ، فكانت رعايته لى أستاذا كرعايته لى تلميذا ، لم ينقطع عطفه على وبره بى فى يوم من الأيام . ثم عملت معه أستاذا فى الجامعة الحكومية فلم تتغير سيرته معى وانما ظل دائما أبا برا وصديقا وفيا . وقد استقال من الجامعة حين أخرجت منها فى بعض الأزمات السياسية ولم يعد اليها الا بعد ان عدت أنا اليها .

أيها الزملاء والسادة أستطيع أن أطيل فى هذا الحديث أضعاف ما أطلت بل أستطيع أن أكتب كتابا ضخما عن أحمد لطفى السيد ان اذن الله لى بذلك وأنا واثق كل الثقة بأنى ان فعلت هذا وأكثر من هذا مقصر أشد التقصير عن أداء حقه على والوفاء بدينه عندى .

فلا غرابة فى أن أشهد أمامكم صادقا كل الصدق مخلصا كل الاخلاص أنى فقدت كثيرا من الأحباء الأعزاء على فوجدت ما يجد الانسان من اللوعة والأسى ولكنى لم أجد قط مثل ما أجد الآن بعد أن فقدت هذا الأب الرحيم والصديق الحميم ، ولم يخطىء الشاعر حين قال :

ليس على طول الحياة ندم
ومن وراء المرء ما يعلم
يموت والد ويخلف مولود
وكل ذى أب ييتم

أحمد لطفي السيد

للشاعر عزيز اباظه

عَبَاقِرَ الفِكرِ هَذَا شيخُكُمْ ذهَبا ... العُجْمُ أسمعتُ فى الافاقِ والعربَا

إنَّ المعلم إن تَحْجُبْهُ حُفْرتُهُ ... فَما يزَالُ سناهُ يكْشِفُ الحُجُبا

العَبْقَرِيُّون لاَ يَلْوِي الفناءُ لَهُمْ ... هَيْهاتَ يقْبَلُ ذَاكَ الجوهَرُ العطَبا

يظَلُّ هديهمُو من بعدهم شُهُبًا ... عُلْوِيَّةً تملأُ الأجيالَ والحِقَبا

سلْسلْتَ إنجيلَ فِكْر فى صحائفِها ... فَأَيْقَظَ الهَامِدَينِ الرُّوح والدَّأبا

تَفَجَّرَ الفجرُ منها كلَّ ناحية ... إِذَا تُخيلَ على قرطاسك القَصبا

حُرِّيةُ الرَّأى لم تُشْرِكْ بها حُرُمًا ... وراشدُ النقدِ لم تَعْدِلِ بهِ أدبا

فَاضِلْ بماضيكَ ، لا ماضٍ يُطاوِلُهُ ... تَشَرُّفًا للسَّنَا العالى ومُنْتَسبا

وافْخَرْ بجيلكَ ، لا جيلٌ يُماثِلُهُ ... أَلَمْ يُوثِّقْ لِهَذى الوثبةِ الطُّنُبَا

أَعلم لصحبكَ أَنَّ العُرب قَدْ رَأَبُوا ... صُدُوعهُمْ وتَاخَوْا إخْوةً عرُبَا

وأَنَّ مصر استعادَتْ مجدَهَا ومضَتْ ... تُعِدُّ للنهْضةِ المرموقةِ الأُهُبا

قَد جاءَ منْ خلع القفازَ منْ يدهِ ... فكانَ ماقالَ ، لا استَجْدى ولاطَلَبا

طَالِعْ أَرسْطُو كَريماً فى مقَاصِرِهِ ... وانعم بأُسْتَاذِكَ الخلاَّقَ مُصْطَحبا

فى جنة الله لا دينٌ يفرقكم ... الفكرُ أدنى إلى كُرْسِيِّهِ رُتَبا

ليس الذى صام أَو صلَّى ببالِغِهَا ... حتَّى يقرِّب من نفع الورَى قُرُبا

قدضِقْتَ ذرعًا بعمر كم نسبتَ له　　طُولاً أَطالَ عليكَ الشَّجْو والوصبا

كلاًّ فما طالَ عمرُ المصلحينَ و إن　　أَوفى على مائةٍ أَو زاد أَو رتبا

قل لِلْمُريدِيهِ رُدُّوا غَرْبَ[1] أَدمعكم　　أُستاذكم لم يغب عنكم وإن غَربا

لم يمْضِ منْ زادَ فى علمٍ ومعرفَة　　وطوَّر الفكر والاخلاقَ والأَدبا

(١) غرب : الدلو . إناء الماء .

لطفى السيد مدير الجامعة

كلمة الدكتور السعيد مصطفى السعيد

حضرات السادة

انه لشرف كبير أن تتاح لى فرصة المشاركة فى هذا المهرجان الذى تقيمه محافظة الدقهلية تكريما لعظيم من أبنائها تعدت عظمته حدود أقليمه فكان عظيما فى وطنه ، بل انها تعدت حدود الوطن فكان واحدا من أكبر أنجبتهم البلاد العربية ، ذلك هو أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد .

ومن أجل ذلك كان تقديرى كبيرا للدعوة الكريمة التى وجهت الى للحديث فى هذا المهرجان . والحديث فى لطفى السيد يحتمل أن يكون فى نواح متعددة ، على قدر تعدد نواحى العظمة فى هذا الرجل الخالد . فهو العالم الفيلسوف ، الأديب ، السياسى ، الصحافى ، الذى برز فى هذه المجالات وفى غيرها منذ أواخر القرن الماضى ، وكرس حياته للمشاركة فى قضايا الوطن وتنبيه الوعى فى البلاد بما أهله عن جدارة لأن يلقب بأستاذ الجيل .

وفى كل ناحية من هذه النواحى يجد المؤرخ للطفى السيد ميدانا فسيحا للكلام ، ومجالا واسعا للدراسة . ولكنها دراسة لا يقدر على توفيتها حقها الا من كان ذا قدر كبير فى العلم والمعرفة ، كهذه الصفوة من كبار الأساتذة والمفكرين الذين حلوا باقليمنا ضيوفا كراما يشاركوننا الاحتفال بذكرى المعلم الكبير . وانى على يقين من أنهم جاءوا الى هذا المهرجان مرحبين ، وقد تركوا أعمالهم وتحملوا مشقة السفر عن طيب خاطر وفاء لأستاذهم وأستاذنا جميعا أحمد لطفى السيد .

أما نصيبى من الحديث ، الذى حددته لنفسى أو حدد لى ، فهو الكلام عن لطفى السيد مدير الجامعة . وهو حديث لا يحتاج الى تعمق فى العلم أو الفلسفة أو الأدب أو السياسة أو الصحافة ، كما هو الشأن

فيمن يتحدث فى ناحية من هذه النواحى فى لطفى السيد . ولكنه مع ذلك يتصل بجانب من حياته ونشاطه هو من أهمها وابعدها أثرا مما جعل اسمه يرتبط بالجامعة ارتباطا لم ينفك برغم مضى سنوات طويلة تبلغ ربع قرن منذ انتهاء صلته الرسمية بها .

ولقد أهلنى للحديث فى هذه الناحية من نواحى حياة الأستاذ الكبير ، فى نظر من أحسنوا الظن بى فدعونى للحديث فى هذا المهرجان ، أنى كنت فى فترة من حياتى مديرا للجامعة التى أدارها لطفى السيد . فربما كنت ، فى ظنهم ، أقرب الى معرفة أثره فيها . على أن صلتى به فى الجامعة كانت أبعد من ذلك بكثير . فقد قابلته لأول مرة وأنا طالب بكلية الحقوق وتركت هذه المقابلة أثرها العميق فى نفس التلميذ الصغير . ثم عملت بالجامعة مدرسا وقت أن كان هو مديرا لها ، واتصلت به فى أعمال ادارية عهد الى بها بالاضافة الى عملى الجامعى فتركت هذه الفترة هى الأخرى أثرها فى نفسى ، وعرفت فيها نواحى من مبادئه وأسلوبه فى ادارة الجامعة لا تعرف الا بالاتصال المباشر . وأخيرا أتيحت لى الفرصة لأن أدرك على وجه أشمل وأعمق التبعات التى واجهها لطفى السيد فى ادارته للجامعة فى أحرج فترة من تاريخها وهى فترة البداية وارساء المبادىء والتقاليد الجامعية ، وكيف واجه هذه التبعات بعقله الكبير وأفقه الواسع وشجاعته فى معالجة الصعاب مع الحزم فى الوقت المناسب .

لقد تركت مقابلتى الأولى للطفى السيد أثرا فى نفسى لم تقو السنون مع كثرة ما انقضى منها ، على أن تمحوه . فقد سعيت اليه لأقدم له عملا علميا صغيرا ، عمل تلميذ . وكان منصب مدير الجامعة فى هذا العهد ، سنة ١٩٢٧ ، يبعث الرهبة فى نفوس الطلبة ، رهبة يضاعفها اسم من كان يشغل هذا المنصب . فسعيت الى مكتبه وأنا ، كما يقولون ، أقدم رجلا ، وأؤخر أخرى . وكنت فى نفسى أشك فى أنه سيسمح لى بمقابلته برغم ما قاله لى أستاذى الذى أشار على بها . وكم كانت دهشتى كبيرة عندما أذن لى بالمقابلة فورا . وقضيت فى حضرته فترة لم أدرك هل طالت أم قصرت فقد ملك حديثه كل مشاعرى ، ورأيت لأول مرة فى حياتى كيف

يجتمع الوقار فى أسمى درجاته مع البساطة حتى غايتها . وتناول بحديثه موضوعات لم يكن لمثلى عهد بها مما جعلنى أشعر أنه قد ارتفع بمحدثه الصغير الى مستوى لم يكن له به عهد ، وانتهت المقابلة وخرجت بعد أن أدركت أنى كنت حقيقة فى حضرة معلم الجيل .

ثم دارت الأيام ، ومضت السنون ، وكبر الصغير ، وتقدمت به السن وصعد مدارج الحياة على قدر ما قدر له ، وحصل من العلم والمعرفة على قدر ما وسع اجتهاده ، ولكن نظرته الى الأستاذ الكبير لم تتغير . فهو برغم ما حصل وما بلغ يجد المسافة بينهما لا تزال كما هى ، شأنه شأن السارى بليل يرقب النجم المضىء أمامه فيجد فى السير ويجهد وفى نهاية المطاف يجد أن المسافة بينه وبين النجم الذى يرقبه لا تزال على قدرها .

حضرات السادة :

لقد كان لطفى السيد فى ادارته للجامعة يتبع أسلوبا فريدا ، لا أعرف أن أحدا ممن أداروا الجامعات — وقد عرفت منهم الكثيرين — جاراه فيه .

فهو لم يكن يهتم مطلقا بالجزئيات والتفاصيل ، ولم يكن يتدخل فى شئون الكليات ، تاركا أمرها لعمدائها ومجالسها ، وتاركا الشئون الادارية فى الجامعة لأمينها العام ، الذى كان فى عهده الموظف الكبير الذى يأتى بعد مدير الجامعة . فلم يكن يشغل نفسه الا بالسياسة العامة للجامعة وأمورها الكلية . وكان يضيق بمن يحدثه فى شأن ترقية أو علاوة أو تحسين فى الكادر وما شابه ذلك ، حتى أنه برغم ما عرف عنه من فرط الأدب وحسن الاستقبال قال لبعض من حدثه فى شئون المرتبات والدرجات من أعضاء هيئة التدريس وأطال الحديث ، لقد خيبتم ظنى فقد كنت أظن أنكم حضرتم لتناقشونى فى مسألة علمية أو للتحدث فى اصلاح نظم التعليم بالجامعة فاذا بكم تتحدثون فى أمور مادية لا ينبغى أن تشغل حيزا كبيرا من تفكير أستاذ الجامعة .

ولقد بالغ فى هذه الناحية حتى قيل عنه — بما فيه معنى اللوم — أنه كان يعيش فى برج عاجى . والواقع أنه كان كذلك . ولكن الذى لم يعرفه

لاثموه هو أنه كثيرا ما كان يترك برجه العاجي ويتعهد بنفسه أمورا جزئية اذا وجد أن مصلحة التعليم فى الجامعة أو استقرار النظام فيها يقتضى ذلك. وكان تدخله فى هذه المناسبات بحزم ومن أجل ذلك كان ناجح الأثر دائما.

وفى رأيى ، وقد كابدت ادارة الجامعة أكثر من سبع سنوات ، أنه ، فى الظروف التى عمل فيها ، كان على حق فى السياسة التى انتهجها .

وقد كان — رحمه الله — يحرص أشد الحرص على سمعة الجامعة ورجالها ، ويولى النواحى الخلقية اهتمامه وعنايته ، فلم يكن يتغاضى عن هفوات السلوك التى ربما تورط فيها بعض من ينتمى الى الجامعة ولو كان ذلك فى غير ما يتصل بعمله الجامعى . ولم يكن هذا بالمستغرب من لطفى السيد فقد كان تصوره لرسالة الجامعة ان عليها أن تعنى بالتربية عنايتها بالتعليم سواء بسواء ، وأن مهمتها الأولى هى تخريج جيل على علم واسع وخلق متين يستطيع أن يقوم بالمسئوليات المتنوعة التى تنتظره . وقد استعرت عبارته نفسها التى جاءت فى خطابه الذى ألقاه فى حفل ارساء حجر الأساس فى بناء الجامعة .

حضرات السادة :

لقد كان من حسن حظ الجامعة أن لطفى السيد هو الذى تولى ادارتها فى بداية وجودها ، فقد كان من دعاة انشائها فى صورتها الأولى ، مؤسسة أهلية مستقلة عن الدولة ، واستمرت صلته بها الى أن كان وكيلها ومراقبها لعام وقت أن تسلمتها الدولة فصارت جامعتها الرسمية . وبذلك كان على علم كامل بظروفها وما تحتاجه من مقومات . ولما كان التعليم الجامعى فى صورته العصرية حديث عهد فى بلادنا فقد كانت الجامعة فى حاجة الى من يعمل على ارساء مبادئها وسن تقاليدها ودعم استقلالها ، وبخاصة فى ظروف انشائها حيث كانت الأهواء السياسية تعصف بالبلاد ، ما بين غاصب يعمل على كبت حرية الفكر ووأد الوعى القومى الذى تيقظ ، وممالىء يعمل على التمكين لهذا الغاصب ومعاونته فى تحقيق أهدافه .

هذا بالاضافة الى أن الأوضاع الاجتماعية لم تكن مستقرة الأمر الذى كان لزاما أن يحدث بعد أن عانت البلاد ما عانت من سبات طويل تحاول أن تبدد وخمه وتنفض غباره . وقد كان لطفى السيد رجل الموقف فجاء اختياره لادارة الجامعة موفقا . وطالت الفترة التى شغل فيها هذا المنصب الى ما يبلغ سبعة عشر عاما تخللتها فترات ترك فيها الجامعة لأسباب مختلفة ولكن مكانه كان يترك شاغرا الى أن يعود اليه . وفى هذه الفترة واجهت الجامعة مشكلات عديدة بالغة الأهمية كان حلها على وجه أو آخر من شأنه أن يحدد معالم الطريق فى حياة الجامعة وتطورها . وقد واجهها لطفى السيد على أحسن ما تكون المواجهة .

كان من أوليات هذه المسائل مشكلة قبول البنات بالجامعة ، ولم يكن الوعى فى البلاد قد نضج الى الحد الذى يجعل هذا الأمر يلقى قبولا حسنا على ما هو معـروف . وقد ذكر لطفى السيد نفسه ـ فى مذكراته التى نشرت — تهيبه من مفاتحة أولى الأمر فى الدولة فى هـذا الشأن . وكيف واجه بنفسه هذه المشكلة ووصل الى حلها على الوجه الذى حقق نصرا كبيرا للمرأة وللبلاد بفتح باب التعليم الجامعى للفتيات حتى وصلنا الى ما نحن فيه الآن من مساواة مطلقة بين الجنسين ليس فى التعليم الجامعى فحسب بل فى جميع فرص الحياة . وها نحن نرى من أخواتنا وبناتنا المتخصصات فى كافة فروع العلم ، ومنهن من بلغ مراتب الأستاذية فى مستويات عالية تزهو بأمثالهن وتعتز كبريات الجامعات العريقة فى العالم . وقد عالج أستاذنا هذه المشكلة بهدوء يتفق مع ما عرف عنه من هدوء ورزانة حتى حلت بغير أن تثار ضجة أو تتمكن رجعية الفكر من أن تعمل عملها .

وكانت الاضطرابات السياسية والمناورات الحزبية تعبث فى البلاد ، وتسللت الى أروقة الجامعة فتعرض استقلالها لامتحان عسير واجهه لطفى السيد بشجاعة كبيرة اتخذت مظهرا علنيا فى مناسبتين : الأولى عندما نقلت الحكومة الأستاذ الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب فى ذلك الوقت الى وزارة المعارف بغير موافقة الجامعة ، فذهب لطفى السـيد الى رئيس الحكومة محتجا طالبا العدول عن هذا القرار رعاية لاستقلال الجامعة ولما

لم يجب الى طلبه استقال من منصبه ، وقد صاغ كتاب استقالته — وهو منشور فى مذكراته — فى أسلوب ومنطق جديرين بأمثاله من كبار المفكرين الذين يستهدفون المصلحة والحق فى حدود النظام ، ولا ينتهزون الفرص لكسب مجد زائف أو لمناورات رخيصة لاستغلال عواطف الجماهير . أما المناسبة الثانية فعرضت عندما لاحظ أن الأحزاب السياسية بدأت تستغل الطلبة فى أغراضها الحزبية وكانت نتيجة ذلك ، كما وصفها فى مذكراته ، أن اشتد الخصام بين طلبة الجامعة فأضر بالأخاء الجامعى وأسقط قيمة الشمائل الجامعية . فطلب انشاء حرس جامعى خاص ومنع الشرطة من دخول الحرم الجامعى ولما لم يجب الى طلبه استقال من منصبه للمرة الثانية . ولما طلب اليه بعد ذلك أن يعود الى الجامعة للمرة الرابعة والأخيرة رفض فألحت عليه الحكومة وطلبت منه أن يضع شروطه للقبول فكان شرطه الوحيد الذى قبل الرجوع لمنصبه فى الجامعة على أساسه أن يبتعد رجال الحكومة عن الاتصال بالطلبة لأن اتصالهم بهم كان يفضى دائما — على حد قوله — الى فقدان الأخاء الجامعى بينهم وذلك من أضر الأشياء على التربية الجامعية .

ونجحت الجامعة وأخذت سبيلها فى التقدم وبدا الفرق واضحا بين الكليات الجامعية والمدارس العليا التى بقيت خارجها وتابعة لوزارة المعارف فعمل لطفى السيد على ضمها للجامعة ونجح فى ذلك وضمت اليها مدارس الهندسة والتجارة والزراعة والطب البيطرى ، وبذلك تضاعف ميدان التعليم الجامعى فى مصر بفضل الأستاذ الجليل .

ولما ضاقت امكانيات جامعة القاهرة عن استيعاب المتقدمين لها من الحاصلين على الشهادة الثانوية كان انشاء فروع لبعض كلياتها فى مدينة الاسكندرية بتوجيه لطفى السيد وجهوده وهى الفروع التى صارت بعد سنوات قلائل جامعة مستقلة « جامعة الاسكندرية » . وهى الآن من كبريات الجامعات ليس فى مصر فحسب بل وبين جامعات العالم . وكان هذا آخر عمل كبير قام به لطفى السيد فى خدمته العاملة بالجامعة .

ومن أجل هذه المآثر الكبيرة التى أسداها للجامعة ، عبرت عن عرفانها لجميله بأن منحته درجة الدكتوراه الفخرية فى مناسبة احتفالها بعيدها الفضى ، وهو أسمى ما تمنح الجامعة فى مجال التقدير .

وترك لطفى السيد الجامعة ولكن صلته بها لم تنقطع ، كما ان أبناءه الجامعيين ظلوا على اخلاصهم له حريصين على الحفاظ على تلك الصلة الروحية التى ظلت تربطهم به الى أن اختاره الله لجواره . وعندما فكرت جامعة القاهرة ـ جامعة لطفى السيد ـ فى الاحتفال بالعيد الخمسينى للتعليم الجامعى فى مصر ، كان رائدها الروحى أول من دعى ليكون من خطباء الحفل . ولا أزال أذكر يوم أن ذهبت اليه فى داره ، وكنت فى ذلك الوقت مديرا للجامعة ، لأدعوه الى مشاركتنا الحفل ، وكان ملازما غرفته مراعاة لحالته الصحية ، لا أزال أذكر ما بدا عليه من سرور بالدعوة وانشراح لها ، وكأنى به يقول فى نفسه أنه سعيد لأن صلته بمعهده الحبيب الى قلبه لا تزال قائمة ولم يمحها مر السنين . وهل كان لطفى السيد ممن ينسى ذكرهم ؟ ووعد بالحضور ولما لم تساعده حالته الصحية أرسل كلمتـه مكتوبة فألقيت فى الحفـل بين تهليل الحاضرين من أبنـائه الروحيين وتلاميذه .

ولا يفوتنى قبل أن أختم كلمتى أن أذكر تأكيدا لما قلته من قبل من أن لطفى السيد قد ارتبط بالجامعة ارتباطا لم ينفك حتى وفاته ، وأن فضله على الجامعة كان عظيما . أقول أن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لما قرر منحه جائزة الدولة التقديرية فى أول مرة تمنح فيها هذه الجائزة كان أثره فى الجامعة من الدعامات التى بنى عليها التقرير بمنحه الجائزة وكانت واحدة من نواح متعددة أهلته لهذه الجائزة . واليكم بعض ما جاء فى هذا التقرير .

« وسيرا وراء الاصلاح وقف نفسه على السياسة ليحقق عن طريقها نهوضا أسرع ورقيا أشمل ، ودعا الى التعليم الجامعى فكان من مؤسسى الجامعة الأهلية القديمة ومديرا غير مرة للجامعة الأميرية الحديثة ، ووضع لذلك طائفة من التقاليد السليمة فنشط الحياة الفكرية ، وقدس حرية

البحث العلمى ، ودافع عن استقلال الجامعة وحرص على استكمال شخصية الجامعيين طلبة وأساتذة ، ذلك لأنه يؤمن بأن حياة الأمة فى تكوين صفوة ممتازة ، ورأى عام ناضج سليم » .

« ويقيننا أن لطفى السيد المصلح راض عن نفسه كل الرضا ، مطمئن الى آرائه كل الاطمئنان فقد دعا الى حرية المرأة فجر هذا القرن ، وأخذ بيدها نحو الدرس العالى والثقافة الجامعية ، وها هى ذى تتقاسم اليوم مع الرجل تكاليف الحياة واعباءها ، ودفع الشباب الى الاشتغال بالسياسة والشئون العامة ، وها هم أولاء اليوم يضطلعون بها جميعا » .

ســـــادتى :

لقد قدرت الجامعة لطفى السيد فمنحته درجة الدكتوراه الفخرية . وقدرته الدولة فمنحته جائزتها التقديرية .

ولكن اسمحوا لى أن أقول ان كل تقدير للطفى السيد أقل من أن يكافىء الأثر الطيب الذى تركه فى أبناء هذا الجيل والجيل الذى سبقه ، وهو أثر سيبقى ويظل مقدرا ما بقيت الثقافة والمعرفة .

لطفي السيد الأخ الأكبر

كلمة الدكتور محمد عوض محمد

فى مهرجان جليل كهذا ، أقيم لكى يتيح لبعضنا فرصة للتعبير عما نكنه لأستاذنا أحمد لطفى السيد من التقدير والوفاء ، وما نحسه نحوه من اكبار واجلال . يحار المرء اذ يحاول أن يختار جانبا من تلك الشخصية العظيمة ، التى ملأت النفوس حبا واعجابا بمزاياها الباهرة النادرة . وكأنها الشجرة الكريمة التى نجد عندها القطوف الدانية والثمار اليانعة والظل الظليل والأغصان الحانية والألوان الزاهية والأريج المنعش الزكى . كيف يستطيع المرء أن يلم بهذا كله أو ببعضه ، ويوفيه حقه أو بعض حقه ؟

ومع ذلك فلا بد للمرء أن يختار جانبا واحدا من جوانب تلك الشخصية الفذة . لعله بتركيزه الكلام على ذلك الجانب الواحد أن يوفق بعض التوفيق فى حديثه الى شىء ترضى عنه نفسه ولو قليلا .

وقد اخترت ناحية واحدة من صفاته وشمائله : ألا وهى صفة الأخ الأكبر ، لأنى خيل لى أن هذه هى الصفة التى ملكت على احساسى أكثر من سواها فى غضون هذا الزمن الذى وهبنى الله فيه نعمة القرب منه ، والتمتع فيه بصحبته ، والاعتراف من فضله .

ولعلى لست الوحيد — بل أنى واثق أنى لست الوحيد ، الذى لمس هذا الجانب من لطفى السيد وأحسه بقلبه ومشاعره . فان شخصية « الأخ الأكبر » كانت تشع منه فى كل وقت فتغمرنا بفيضها وبنورها .. فنهتدى بهديه ونسعد بلطفه ومودته ..

و « الأخ الأكبر » عبارة يستخدمها استخداما علميا بعض المشتغلين باصلاح شباب يفتقر الى الاصلاح فيتولى أمره أخ أكبر يأخذ بيده لا يزال يسهر على ارشاده وهدايته ، مع وفرة الحب والعطف ، حتى يرى النور ويسلك أقوم السبل .

وربما سأل سائل : وهل كنتم حقا فى حاجة الى الهداية والارشـاد ؟ الذى أعرفه أن أسعدنا وأكثرنا توفيقا هم الذين أحسـوا حاجتهم الى الهداية والارشاد على يدى أحمد لطفى السيد .

كلكم ولا شك تعلمون ، عن خبرة شخصية أو عن سماع ، أن أستاذنا لطفى السيد اشتهر بأنه يكسوه الوقار دائما ، وتجلله الهيبة فى كل حين فلا يقدر أحد ، أو يجرؤ انسان أن يبدى فى مسلكه أو فى كلامه بين يديه أى أثر للعبث . ولقد نسمع منه أحيانا العبارة الطريفة أو الدعابة العذبة ، فيطرب لذلك جلساؤه ، ولكن هيبته ووقاره يظلان كما هما . ويظل هو دائما ملء العين وملء القلب .

ومـع ذلك فان العاطفـة التى كان يثيرها — قبـل كل شىء — فى نفوسنا ، فى كل مرحلة من حياتنا ، لم تكن الرهبة أو الخشية ، بل الحب ، ان الحب الذى ملأ قلوبنا ، والذى لا نعرف تماما كيف غرسه فى أفئدتنا هو العاطفة القوية التى كانت تكنها له جوانحنا وتنعم بها أرواحنا .

ولست أدرى هذه الملكة الرفيعة ، وتلك القدرة العجيبة على اثارة الحب فى الأنفس ، كيف أحرزها ، وكيف نماها . فلم تزد على الأيام الا قوة وازدهارا .

سيداتى . سادتى :

أنى عندما بدأت حياتى فى هذه المدينة العزيزة مدينة المنصورة كان نجم لطفى السيد ساطعا منيرا . وكنت أنا ولداتى نسـمع أنباءه ونقرأ ثمرات فكره . ولكنا لم نكن نجد سبيلا لكى ننعم بمجلسه وصحبته . غير أنى لم أكد أتم دراستى وأعود الى وطنى حتى أكرمنى الله بأن شهدت مجلسه منذ ثمانية وعشرين عاما فى سراى الزعفران بالعباسية ، وهى مقر الجامعة فى ذلك الوقت . جلست بين يديه ساعة على استحياء — أجيب عن أسئلته قدر طاقتى وهو يرسلها بصوته العذب ، وعطفه الذى فطر عليه فلم ألبث أن هدأ روعى ، ورجعت أدراجى — مطمئنا الى أننا لن يلحقنا ضـير ما دامت هذه هى الشـمس التى ندور فى فلكها ، وننعم بدفئها

ووهجها . ولم تمض أيام حتى صدر الأمر ـــ أمره هو ـــ بتعييني مدرسا فى كلية الآداب . وكان هذا خير شفيع لى بأن أتطفل على مجلسه وأن أغشى منزله شاكرا أو زائرا أو مهتديا أو مسترشدا فى كل ما يبدو لن مى شأن : ولا شك عندى أن هذا كان شأن الكثيرين .

ولقد كان يحس آمالنا وآلامنا حتى ولو سكتنا ولم نرفع لساننا بالشكوى ، وانى لأذكر انى ـــ ولم تمض على فى الجامعة سنتان ـــ صادفنى تجربة من هذا النوع ، لا أستطيع أن أنساها ، فقد أعلن عن اجتماع المؤتمر الدولى للجغرافيين فى مدينة كمبردج ، وكان لدى بحث عن تطور نهر النيل ، وددت لو أتيح لى أن ألقيه فى ذلك الجمع الحاشد . لقد كان المؤتمر السابق معقودا فى مدينة القاهرة سنة ١٩٢٥ لذلك كان ينتظر لمؤتمر كمبردج أن يستقبل وفدا كبيرا رسميا من مصر سنة١٩٢٨ . وقد تألف فعلا وفد رسمى كبير ، وعلى رأسه شخصية رسمية كبيرة . وبعضوية عدد من الأشخاص النابهين . وبالطبع لم يكن اسمى بينها . ولعلى تأثرت قليلا بهذا . ولكنى لم أنبس ـــ علم الله ـــ ببنت شفة وانصرفت الى اتمام بحثى حتى أرسله بالبريد لينشر فى أعمال المؤتمر . وهذا النوع من الاشتراك البريدى فى المؤتمرات أمر مألوف .

وفى صباح يوم دعانى مديرنا الجليل الى حضرته ، وقال لى بعد تبادل التحية ، أن الجامعة لتنوى بدورها أن ترسل من يمثلها فى مؤتمر كمبردج ، وأرجح انك ستكلف بالقيام بهذا الأمر . فتعثر الكلام فى فمى ولم أحر ردا ولا شكرا . ثم قلت انى كنت وطنت النفس على أن أرسل بحثى بالبريد فأشترك فى المؤتمر غيابيا . فقال لن يكون هناك داع لهذا . فخرجت من بين يديه أتعثر فى مشيتى . وقد ذهبت فعلا الى كمبرج على نفقة الجامعة . وألقيت بحثى فى المؤتمر على ملأ عظيم من الجغرافيين كما كانت تتوق نفسى . فان لطفى السيد الأخ الأكبر علم ـــ ولا أدرى كيف علم ـــ أن الصدمة قد تؤلم فلم يكتف بأن يأسو الجرح بل بعث فى النفس القوة والرضى .

وأني لعلى ثقة بأن فى البيئة الجامعية وغيرها كثيرين قد نعموا بمثل هذا العطف ، ولقوا من العون والتأييد أكثر مما كانوا يرجون .

أن الحديث لن يتسع الى أمثلة كثيرة أحاول منها رسم تلك الشخصية العظيمة ، ولكن أمرا واحدا لا زلت أذكره ، وهو جهاده ليحفظ للجامعة هيبتها وكرامتها . حين سولت للجهات التى كانت تدعى الجهات العليا نفسها أن تعتدى على حرمها ، وأن تعصف بأعز أبنائها طه حسين سنة ١٩٣٣ فنقلته عنوة من بيئة الجامعة الى ركن مظلم فى وزارة المعارف العمومية . فأبت على طه حسين عزته وشممه أن يذعن لهذا العسف ، وبذل لطفى السيد الحكيم اللبق قصارى جهده حتى لا تحل بالجامعة هذه الكارثة . ولكن أولى الأمر فى ذلك الزمن قست قلوبهم وكانت كالحجارة أو أشد قسوة ، وعجزت أن تنصت الى صوت الحكمة ، وهو يحاول أن يعالج بالمنطق والعدل ، نزعات النفوس الشريرة التى امتلأت بها حجرات القصر والدواوين . ولم يجد الأخ الأكبر بدا من أن يقدم استقالته من الجامعة وادارتها ، تلك الاستقالة التى يراها الكثيرون عملا من أجل وأعظم الأعمال التى خدمت بها الجامعة .

وقد كان لى أنا أيضا بعض الشرف بأن صدر الأمر بنفيى واقصائى عن الجامعة . وقد أحسن المرجفون بذلك الى ، وهم يحسبون أنهم يسيئون الى ، فما خير جامعة أقصى عنها لطفى السيد وطه حسين ؟

ولقد ظللت بعيدا عن الجامعة ثلاثة أعوام ولم أعد اليها الا بعد أن عاد اليها لطفى السيد وحبيبه طه ، وعادت الى الجامعة بهجتها وجلالها .

اخوانى . أن فضل لطفى السيد على لعظيم . وها هو ذا يسدى الى الفضل حتى بعد أن اختاره الله لجواره . اذ يتيح لى الفرصة لأزور موطنى الأول الذى لم أزره منذ عشرين عاما . فشكرا لمحافظة الدقهلية . التى هيأت لى أسباب الحضور للاحتفال بهذا الذكرى المجيدة والسيرة العطرة .

قصيدة الأستاذ أحمد رامى

فى ذكرى أستاذ الجيل

أيها الراحلون عنا سلاما قد صحونا وما لَبِثْتُمْ نياما
صاحبٌ بعد صاحبٍ يتوارَى عن حِمانا ويسبقُ الأيَّاما
وحبيبٌ إِلَىَّ كان معى بالأمس يسقى سمعى رحيق النَّدامى
قال لى القائلون راح مع الطيف وذابت أنفاسه أنسامَا
نفس عابرٍ وروحٍ خفىٌّ وحياةٍ يعيشها أوهامَا
وتغيبون والحياةُ كما كانت على الناسِ نَضْرَةً وابتسامَا
والنسيمُ العليل يسرى على وجه ترابٍ يضمُّ منكمْ عِظَامَا
والربيعُ الجميلُ ينشر فوقَ الأرض زهرًا ملءَ الرُّبى بسَّامًا
والنهارُ الطويلُ يمضى من العمر كفاحًا حول المُنى وزِحامًا
كل هذا حُرِمْتُمُوه ونمتُمْ وتظلون فى التراب نِياما

* * *

أيها المحتفون بالراحلِ الباقى على الدهر غرةً ومقاما
لستُ من داركم ولا من حماكم غير أنى أردت أن أتسامى
وأحيى معالم العز والمجد وأحنى لدار لقمان هامَا
وأرَى الصفةَ التى الهمت نَاجِى وطه ، سفرًا يفيض انسجامَا
ثم عزَّتْ برائد الجيل والحكمةِ والرأى حُجة وإمامَـــا

هو لطفى ومن كلطفى غداة الروع غضبا فى حُكْمِهِ صمصاما

يرسلُ القول قاطعًاويرى الصمتَ أَسارًا والذّلَ موتًا زؤاما

وينادى إلى اليقينِ ويدعُو كلَّ قلبٍ فى الحقِّ أنْ يُسْتَهامَا

لستُ أنساهُ والزمانُ ربيعٌ والنّدى باسمٌ بثغرِ الخُزَامى

يوم كُنَّا نهيمُ فى جنةِ الدُّنيا ونَقضِى أيَّامنَا أحلامَــــا

ضمَّنِى منهُ فى شبابِى جناحٌ وارفُ الظِّلِّ رحمةً وسلاما

ودعانى إلى الرحيلِ لباريسَ فتَرْجمْتُ صاحبِى الخَيامَا

ورعانى بعطفِهِ وسقانِى من رحيقِ الألبابِ جَامًا فَجامًا

وتَعلَّمتُ منهُ كيفَ يكونُ الصَّبرُ إن رابنى الزمانُ وضَامَا

فاذا غاب عن عيونى فما زال بسمعى حديثُهُ رنَّامَا

* * *

ياشباب البحرِ الصغيرِ وفَيتُم ورَعَيتُم لعهدِ لطفى ذِمامَا

هزنى حفلكم فاقبلتُ أَسْتَنْدِى بيانِى وأَسأَلُ الإِلهَامَا

ثم أَسقِى ذِكْراهُ من فيضِ قَلْبِى ما صَفا منْهَلاً وراقَ نِظَامَا

علَّ شعرِى يُوفِى الجميل إليهِ ويؤدِّى حقًا على لزامَا

ثم يحيى ذكراه فينا وقد خلَّف ذكرى تضوع عاما فعاما

بين أستاذ الجيل والأستاذ الإمام

كلمة الدكتور عثمان أمين

رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

يسعدنى أن أنوب عن جامعـة القاهرة فى تلبية دعوتكم الكريمة للمشاركة فى الاحتفـال بذكرى قطب نابه من أقطاب الدقهليـة ، وهو رائد من رواد الوعى فى العـالم العربى كان من حسن حظى أن عرفته مديرا للجامعة المصرية فى أول عهدى بالدراسة فيها . وما زلت أذكر يوم ذهبت ـــ مع فريق من زملائى طلاب الفلسفة بكلية الآداب ـــ للتشرف بلقاء الأستاذ الكبير فى مكتبه بقصر الزعفران . ولست أنسى ما أتحفنا به وقتئذ من حديث كان أشبه بمحاضرة ضافية عن عباقرة الفكر فى الشرق والغرب ، وما كان لهم من أثر عظيم فى تنويز الأذهان وتهيئة النفوس للطموح الى عالم أفضل ، وكان هذا أول انطباع جميل عن أستاذ الجيل .

ودارت الأيام دورتها ، وشاء الله أن أحظى بالاستماع اليه مرة أخرى منـذ بضعة سنين حين ذهبت اليه بمكتبـه فى مجمع اللغـة العـربية ، لأستطلع رأيه فى مسألة عامة كانت تشغل بال المثقفين فى ذلك الحين . وفى حديث قصير ممتع ظفرت به منه ـــ ويالها من لحظات أثارت ذكريات ـــ استيقنت مما كنت أعلمه من قبل ، وهو أن الأستاذ االكبير مغتبط أوفر اغتباط بما أتيح له أن يشهد فى هذا العهد الجديد من تحقيق أمنيتين قوميتين ـــ كلتاهما لبثت تراود قلبه وعقله حقبة طويلة من الزمان .

أما الأمنية الأولى :

فهى حكم البلاد بأيدى الخلصـاء من أبنـائها . وقد تحققت هـذه الأمنيـة أمام بصر الأستاذ الكبـير على أيدى رجال الثـورة المباركة ،

تلك الثورة التى قامت على رعاية الفكرة ، فغرست شجرة الحرية فى جميع الحقول ، وخاصة فى حقول التربية والثقافة والاجتماع والسياسة .

ومضت الثورة الى غايتها تخطط وتبنى حتى أعادت الى الأمة ما افتقدته من الثقة بنفسها وحققت لها بالأعمال الباقية والشواهد الحية ما تهفو اليه من الشعور بكرامتها والاعتزاز بشخصيتها .

واما الأمنية الثانية :

فهى ادخال تعليم الفلسفة فى المعاهد والمدارس العربية . وقد تحققت هذه الأمنية منذ أكثر من ربع قرن ، بفضل يقظة الأحرار وقادة الفكر فى هذه البلاد ، فتقرر تدريس مبادىء الفلسفة فى المدارس الثانوية . وقد كان لتحقيق هذه الأمنية فى التعليم أثر كبير فى حاضر الأمة العربية . وما من شك فى أنه سيكون لها أثرها فى مستقبلها القريب والبعيد : ذلك لأن أستاذ الجيل كان يؤمن ايماناً راسخاً — شاركه فيه كثيرون من صفوة أهل الفكر فى هذه الأمة ، منذ محمد عبده وقاسم أمين ومصطفى عبد الرازق وعباس العقاد ، الى الرئيس جمال عبد الناصر — كان يؤمن بأن الفلسفة ، صانعة التاريخ ، ذات أثر عميق فى حياة الأفراد والجماعات .

هذه بعض انطباعات نفسى عن الأستاذ الكبير ، وهى انطباعات مباشرة جاءت ثمرة للالتقاء به والحديث معه والاستماع اليه .

أما انطباعات ذهنى التى هى ثمرة البحث عن اتجاهاته وأفكاره فى صفحاته المطوية أو منتخباته المنشورة فأستطيع أن أجملها فى قضية واحدة :

وهى أن أستاذ الجيل خليق ، عند تقييم الفكر المصرى ، أن يكون هو خليفة الأستاذ الامام محمد عبده ومكمل رسالته الاصلاحية فى ميادين الأخلاق والسياسة والاجتماع ، فقد كان أول مابرز اسم لطفى السيد فى « الجريدة » لسان « حزب الأمة » ؛ وقد اشتهرت « الجريدة » فى عهد اشرافه عليها باصرارها على الدفاع عن دعوة الاصلاح والتجديد التى نادى بها الأستاذ الامام فى العالم الاسلامى الحديث . وجماع تلك

الدعوة تنوير الأذهان لتزويد الأمة بأدوات الاستقلال الصحيح القائم على نشر العلم ، وتزكية الوعى ، والثقة بالذات ، والاعتمـاد على النفس والتشبث بطلب الحرية ، والشعور بالكرامة الانسانية .

وانه ليحلو لى الليلة أن أقتبس فقرات من خطبة سياسية نشرت له بعدد « الجريدة » الصادر فى الثانى من يناير / ١٩٠٩ ، قال رحمه الله : « ان الحرية الشخصية خلقت مع الانسان ، ومهما كان الرق قديما ، فان الحرية أقدم منه ، فليست الطبيعة هى التى أوقعت الانسان فى الرق ولا هى التى حدت حريته بالحدود التى نراها اليوم ، ولكن الذى حدها هى الضرورة النظامية أو ضرورة الاجتماع والحرية أم الفكر ، أم العلم بل هى المقصود من معنى الحياة الانسانية . لذلك لم يخطىء الحكماء الأقدمون الذين كانوا لا يعتبرون العبد شخصاً بل يعتبرونه آلة حية أو شيئا من الأشياء المملوكة ، فان الحياة بغير الحرية موت حقيقى . وعلى ذلك كان التساهل فى أمر الحرية الشخصية يعتبر دائما تنازلا عن حقوق الانسانية وواجباتها أيضا » (صفحات مطوية ص ٥٣) وقال عن حرية الأمة : « ان الطبيعة قرنت حياة الأمة بحريتها العامة : فكما أن حرية الفرد هى المقومة لحياة الانسانية كذلك حرية الأمة وحكمها نفسها بنفسها هى المقوم الأول لحياتها ، بدونه لا تتم لها الحياة » (ص ٤٤)

لقـد نظر لطفى السيد نظرة جوانية حقـا حين حدد العلاقـة بين « الأمة » وبين « الحكومة » فقال : « ان الحكومة من أعراض الأمة ، وان الأمة تأخذ الدستور لا تعطاه : لأن الدستور ملك للأمة من يوم كونها أمة ، وان كل أمة متى أجمعت على تغيير شكل حكومتها تحققت ارادتها من غير نزاع » (ص ٤٦) .. ورأيناه يعود الى الكتابة فى موضوع الحرية ــ وتشبه أن تكون شغله الشاغـل ، يهتف بها ويتحـدث عنها فى كل مناسبة ــ فيقول فى « الجريدة » فى عددها الصادر فى ١٨ ديسمبر/١٩١٣ « الحرية غرض الانسان فى الحياة ، كانت ولا تزال هواه الذى طالمـا قدم له القرابين ، وأنفق فى سبيله أعز شىء لديه ، أنفق فى سبيله المال والجاه ، والروح .. الحرية هى الحياة : فأى انسان خمدت فى صدره

نار الحرية ، وأظلمت جوانب عقله من شعاعها الساطع ، جـدير بأن لا يعتبر انسانا ، وأن تسقط عنه تكاليف الحياة » (المنتخبات ، الجزء الثانى ، ص ٦٠) .

وكذلك كان أستاذ الجيل مكملا لرسالة الأستاذ الامام فى وجه آخر من وجوه الدعوة الى التنبيه والتنوير : فقد أسهم — رحمه الله — مع سعد زغلول ، وقاسم أمين ، وحفنى ناصف ، فى مواصلة الجهود لتحقيق أمنية أستاذه الشيخ محمد عبده فى انشاء جامعة مصرية الى جانب الجامعة الأزهرية — بحيث « تقوم على تعليم العلوم وفقا للمناهج الحديثة وتسهم فى تجديد الحضارة العربية القديمة ، بالدأب على الاقتباس من النتـائج التى توصل اليها علماء الغرب فى العلوم والآداب والفنون » .

والانصاف يستوجب فى هذا المقام أن ينوه بفضـل الأستاذ الامام فى السبق الى التفكير والعمل على تحقيق مشروع الجامعة المصرية ، ذلك الفضل الذى شهد به — بعد وفاة الامام — كاتب فرنسى مرموق وسجله فى « مجلة العالم الاسلامى » الصادر فى باريس ، كما أثبته « دوجرفيل » مؤلف كتاب « مصر الجديدة » المنشور سنة ١٩٠٥ بباريس .

ولم يمض من الزمن الا قليل حتى تحقق المشروع بجهود الأحرار المستنيرين من أبناء هذه الأمة ، فأنشئت « جامعة الشعب » سنة ١٩٠٨ ، وأختير لطفى السيد عضواً بمجلس ادارتها وتناوبت الجامعـة بعد ذلك حظوظ مختلفة لا محل هنا للخوض فيها ، ثم أنشئت « الجامعة المصرية » تحت اشراف الحكومة سنة ١٩٢٥ ، فعين لطفى السيد مديرا لها .

وفى ١١ من يوليو سنة ١٩٢٢ ، أقيم بدار الجامعة احتفال كبير لاحياء ذكرى الأستاذ الامام وكان الذى ألقى كلمة الجامعة فيه هو أحمد لطفى السيد ، ومن توجيهاته السديدة فى ذلك الاحتفال قوله :

« ان لنا نحن المصريين ، من جهة كوننا أمة متمدنة ، حقاً تقتضيه من الانسانية جمعاء ، وهو مساواتنا بكل أمة متمدنة فى الحقوق الدولية ، وان علينا مقابل هذا الحق واجباً يلزمنا أداؤه وهو احتمال نصيب من المسئولية

عن الارتقاء العام للانسانية فى مدارج الكمال من جميع جهاته ، فكل عصر يجب أن يؤدى حسابا عما عمل لخير الانسانية ، وكل أمة يجب عليها أن تحمل نصيبها من المسئولية عن هذا العمل بمقدار استعدادها . ومن الخطأ أن يظن بأن نصيبنا من هذه المسئولية ضئيل القدر خفيف الحمل ، بل الأمر على ضد ذلك : نصيبنا من المسئولية يجب عدلا أن يربى على نصيب كثير من الأمم . ربما عد غيرنا هذا القول غلواً فى تقدير قيمة أمتنا ومنافياً للتواضع المحمود ... ولكن الاجماع واقع على أننا سلالة معلمى الانسانية ، الهادين الى طرائق كمالها من جهة العلوم والآداب ، ومن جهة أنظمة الحكم ومختلف الصناعات . فيجب أن يقع الاجماع أيضاً على أننا من أشد الأمم استعداداً لاحتمال المسئولية عن الارتقاء الانسانى العام . ولا ينقصنا فى ذلك الا زوال الموانع الخارجية التى حالت منذ بضعة قرون بيننا وبين احتمال المسئولية والمشاطرة فى المجد العلمى العام . وعلى هذا الاعتبار يجب علينا أن تتخذ نهضتنا العلمية الحاضرة بشير الرجوع الى مضمار المسابقة العلمية العامة وأن نوطد أنفسنا على العمل بجد للاستعداد لهذه المسابقة .

ومن صنوف العدة أن تتبين صيغة مركزنا العلمى — وليس مركزنا العلمى شيئا آخر الا تقدير ما أنتجته بلادنا من النوابغ الذين هم أركان نهضتنا الحاضرة ، أولئك هم مصابيح الماضى ، تنبعث منها أنوار الهداية الساطعة ، فتكشف للحال طريقه الى الأمام فى ظلمات الاستقبال . وأكبر هؤلاء النبغاء هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده » (الاحتفال بالذكرى السابعة عشرة لوفاة الامام ، ص ٨ — ٩) .

لقد استطاع أحمد لطفى السيد الرائد الثانى للفكر المصرى أن يقوم فى توجيه حياتنا الفكرية والاجتماعية بدور كبير ، هو دور التوعية والتنبيه ويتناول حقيقتين رئيستين أشار اليهما فى كلمته التى أوردناها منذ قليل : احداهما أننا سلالة معلمى الانسانية والأخرى أننا مسئولون عن الارتقاء الانسانى العام . ومن أجل هذا كان أهم الجوانب فى رسالة الجامعة عنده هو « المشاركة العامة فى رقى العلوم والمعارف » ثم

« مساعدة التطور الاجتماعى بكل ما فى وسعها من ضروب التجديد » (المنتخبات ص ٤٠) .

فاسمحوا لى بأن أقدم بين يديكم هذه الكلمة الموجزة تحية زكية لذكرى نابغة الدقهلية ، بل لذكرى فقيد الأمة العربية ، ورائد من رواد الوعى الانسانى فى الشرق الاسلامى .

لطفى السيد أستاذ الجيل

كلمة الأستاذ ابراهيم بيومى مدكور

سيداتى سادتى :

قل ان توافرت لشخص صفات الأستاذية مثلما توافرت للطفى السيد ، بسطة فى العلم ، ورجاحة العقل ، ووضوح فى البيان ، وادراك تام لعقلية محدثيه ومن يستمعون اليه . لم يمتهن التدريس قط ، وانما كان يعلم فى ناديه ومجلسه ، فى حديثه وسمره ، على طريقة سقراط أو جمال الدين الأفغانى . وخير العلم ما جاء ايحاء وتلبية لرغبة .

ولمجلسه عشاق وطلاب ، يستمعون اليه ، ويحرصون عليه ، وينعمون به ، فيه جد ودعابة ، وأدب ولغة ، وعلم وحكمة ، واجتماع وسياسة . ولم أر مجلسا أحب من مجلسه ، ولا حديثا أمتع من حديثه ، يعرف كيف يصرف الحديث ويفتح باب المناقشة ، ويثير المشاكل والمعضلات — واذا قعد به المرض سعى طلابه ومريدوه اليه ، فيجد فى الدرس صحته وفى الحديث شفاءه ، ولم أجلس اليه قط الا وخرجت برأى صائب وحكمة بالغة .

ولطفى السيد الصحفى استاذ أيضا ، رسم لفن الصحافة حدوده ومعالمه يوم أن كان فى أمس الحاجة الى ذلك . أراد بها أن تكون وسيلة ناجحة من وسائل التوجيه وتربية الوعى السليم ، واستمسك بحريتها واستقلالها بحيث لا تخضع لميل أو هوى ، ولا تجارى ظالما فى ظلمه ولا مستبدا فى استبداده ، وخلق منها حين عز النصير قوة شعبية ، تقف فى وجه السراى تارة ، وفى وجه المعتمد البريطانى تارة أخرى ، ويحسب لها حساب فى ساعات الحرج والشدة .

ولطفى السيد المؤلف والمترجم أستاذ غير منازع ، يرى أن الحضارة

الانسانية كل متصل الأجزاء ، يرتبط حاضرها بماضيها ، وهما معا يمهدان لمستقبلها . لذلك عمد الى التراث القديم يكشف عنه ، والى ذخائر الفلسفة اليونانية يعربها . وهو جهد شاق وعمل مضن ، الى جانب رسالته الكبرى وأعبائه الباهظة ، ولكنه أبى الا أن يضرب فيه المثل ويرسم الخطة — وما أجدرنا أن ننظر الى مترجماته خاصة من ناحية أهدافها وغاياتها دون أن نقف فقط عند جانبها الفنى والعلمى . ولا يزال احياء التراث القديم فى حاجة الى صوت قوى مثل صوته ، وتعريب الذخائر الخالدة الى سند مثل سنده .

سيداتى وسادتى :

لقد كان لطفى السيد رئيس مدرسة كبرى ، تخرج فيها الأدباء والعلماء والساسة والمصلحون ، أمثال مصطفى عبد الرازق ، محمد حسين هيكل ، منصور فهمى ، عباس العقاد ، طه حسين ، محمد كامل حسين . ولهذه المدرسة شأن واضح فى الحركات القومية الوطنية ودعوات النهوض والاصلاح فى الخمسين سنة الأخيرة ، اذ ساهمت فى ثورة ١٩١٩ ، ووجهت ثورة ١٩٥٢ .

رأس لطفى السيد هذه المدرسة منذ فجر هذا القرن ، ورسم لها منهج البحث والدراسة ، وغذاها بآرائه وتعاليمه ، وكان يؤمن بالعقل ايمانه بسنة النشوة والارتقاء ، وكم كان يروقه أن يقول : قال مولانا أرسطو ، وذلك لأنه كان يرى فيه رمز المنطق وعلما من أعلام المذهب العقلى بين اليونان . وللطفى السيد ولوع بالمنطق فى حواره وجدله ، يقيس ويوازن ، ويبحث عن العلل والأسباب ويرد الأشياء الى أصولها ، ويمقت المغالطة والتضليل .

وفى العقل ادعام للرأى ، واتقاء للأهواء ، وأمان من الذلل وجمع للكلمة ، وقل أن يضل قوم حكموا عقولهم تحكيما سليما . وعلى هذا يجب أن تقام السياسة على أسس عقلية ، وهذا ما أخذ لطفى السيد به نفسه منذ بدأ يحرر فى الجريدة ويشترك فى حزب الأمة ويستمسك به فى

جميع مواقفه السياسية التالية فكان يبحث عن الأصول والمبادىء ، ويحتج بالنظريات السياسية المختلفة ويستمع فى سماحة لمعارضيه ليزن حجتهم ويقف على منطقهم .

والسياسة ميدان لا يخلو من ميل الهوى وجموح العاطفة ، واستطاع هو أن يسمو على ذلك ، ولئن تمكن منه ميل ما أبى الا أن يصوغه فى قالب عقلى . ولعل هذا هو سر ما اتسم به من اعتدال ، وأخذ بأسباب الفهم والتفاهم ، وتقريب لوجهات النظر .

وأما التطور فكان عقيدة راسخة لديه ، يرى أن الفرد يتطور كما يتطور المجتمع ، وان جيل اليوم غير جيل الأمس . ولقد بقى لطفى السيد فسيح الصدر دائما للأفكار الجديدة ، برغم تقدم سنه يستقبلها فى ثقة ، ويزنها بميزانها الصحيح ، ويحاول أن يلائم بينها وبين سنة التطور . ولم أر شيخا اقترب من الشباب والكهول قربه ، يحس باحساسهم ، ويستطيع أن يعيش فى عالمهم .

ولم يكن هذا التطور يؤمن بالنشوء فحسب ، بل كان يؤمن أيضا بالارتقاء . فالانسانية سائرة الى الأمام فى علمها وفنها ، فى نظمها وقوانينها . وقد تعترضها محن وأزمات ، ولكنها لا تصرفها عن الغاية المحتومة ، وجيل اليوم خير من جيل الأمس ، وثلاثة أجيال كفيلة بأن تصل بالأمة المصرية الى ما تصبو اليه ، وفكرة الأجيال الثلاثة هذه مشهورة لدى أصدقائه ومريديه . والتطور على كل حال أساس الثورة والانطلاق ، وقد مد الله فى أجله الى أن رأى ثمار آرائه وتعاليمه حية متحركة .

سيداتى ، سادتى :

هذا هو لطفى السيد أستاذ الجيل . ومن حق محافظة الدقهلية ، وهو علم من أعلامها ، أن تحتفى به وتخلد ذكراه . وما أحوجنا فى ثورتنا العارمة وانطلاقتنا الجبارة الى أمثلة حية نحتذيها ، وهداة نسترشد بهم ، ولاشك فى أن لطفى السيد كان فى الصف الأول من قيادتنا الفكرية والروحية طوال نصف القرن الأخير .

الإنسان والموت

للشاعر محمد الحيار

خَلِّ الليالى لنا دَعْها لساهِرِهَا   فالعَيْنُ ما خُلِقَت إلا لمبْكَانَا

وارْحلْ كما ارْتحل الأَحبابُ واخْتَرقوا   ليل العماءِ وشامُوا الصبحَ فَرحَانَا

ولم يمُتْ من أتاه الموتُ مُعْتَذِرًا   يزورُ قلعتَهُ الشماءُ... خجلانَا

بين الضلوعِ هُنا صفصافةٌ وجفتْ   تبكى بأَوراقِهَا فى الليل إنسانَا

وأَنْجُمُ الليلِ غرقَى ما يَبِينُ لَهَا   إلاَّ ذِراع شعاعٍ شقَّ طُوفَانَا

وكل نجمةِ أُفِقٍ دمْعَةٌ جَمَدَتْ   من النهار الذى قد غاب حيرانَا

وساعةٌ فى رحاب البيتِ لاهِثَةٌ   تنوحُ دقَّاتُها العَجْلى وتَنْعَانَا

فى سطح منزلنا عُشان قد سُكِنَا   فبومةٌ جاورت فى الليل كَرْوَانَا

إنْ صاحَ هذا يُحِيِّى الليل فى جَذَلٍ   تَنُوحُ تلك لتَنْعى فيه موتانَا

والبدرُ كالأَمل المهْمُوس فى خَفَرٍ   بقيةٍ من وصايا الشمس ترعانَا

***

مازلت أَذكر وَسْط الحيِّ قابلة   جميلةً كم سَبَتْ شِيبًا وشُبَّانَا

تزوجتْ رجلاً يَهوى صَبَاحتهَا   زُفَّا معا فى مساءٍ كان نشوانا

وزوجها كان لحادا يُعِدُّ لنا   بعد التغرب فوق الأَرض سُكْنَانَا

تقول زوجته فى الفجر جاءَ لنا   طفلٌ زَهِيٌّ الضحى يَفْتَرُّ رَيْحَانَا

وزوجُها ساخرُ العينين مُبْتَسِمٌ   يقول : إنّى دفَنْتُ اليوم فتيانا

ويسخران معًا من لُعْبَةٍ تعبت   فيها الحياة مع الأَقدار أَزمانا

كَمْ حيَّرتَنْى حياةُ الناسُ مبْهمةً ... وكان أَبْهَم منها الموتُ تبيانا

الطفل يولد فى مهدٍ فوا أَسفى ... يصيرُ لَحدًا ويغدو الثوب أَكْفَانَا

فى كلِّ يَومٍ يَسُلُّ الموتُ فى شرهٍ ... مِنَّا حبيبًا هوى للأَرض قُرْبانَا

كأَنَّما الشمسُ لاتُنْمِى الزهور لنا ... إلا لزِينَةِ نَعْشٍ مَرَّ أَسْيَانَا

هل تبعثُ الشمسُ أنوارًا لعالَمِنَا ... إلا لندفِن فى الأَنوار قَتْلَانَا ؟

***

ياراحلين أَجيبونى على لهفَى ... نَحْن الحيارى هنا والسرُّ أَعيانا

ياحادِى الجيلِ ماذا خلفَ عَالَمِنَا ... تُرَى أَجاب الصَّدى أَم عاد غَيْمانَا

كما يعودُ الشَّذَى منزهرةٍشَحُبَتْ ... فرفَّ رَوْحًا لها فى الليل هيَمَانَا

مانحنُ إلا سحاباتُ المغيبِ مشتْ ... لأَصلها البحرُ دَمْعًا سالَ هَيَّانَا

هى الحياةُ فأَقْصِرْ فى شكايتها ... سيَّان ثُرتَ لها أَو رُمْتَ سُلوانا

سيَّان فى حُكْمها ميلادُ زَهْرتِها ... أَوشيْبةُ الدَّوْحِ يَلْقَى الريح جفلانا

إنَّ الحياةَ رموز الموت خافيةً ... والموتُ فينا وإن أَغْضَى وأَبْقَانَا

فى كفِّهِ مشعلُ الأَعمار تَنْفُخُهُ ... ريح الليالى فما ينفك يقظانا

نمضى ونترك للأَحداثِ فى جزَعٍ ... لنَا حبيبًا ويمشى الكلُّ سُرْعَانَا

وربما تَسْقُطُ الأَمطار مُغْرِقَةً ... صمْتَ القبور ويَطْوِى السيلُ وِدْيانَا

ويذهب الناس نحوالدور فى سأَمٍ ... وربما أَدرك المحزونُ نِسيانَا

كم فيلسوفٍ على عينيهِ أَعْيُنُنا ... كأَنها نَبتَتْ بالحبِّ أَجْفَانَا

***

حتى إذا نَضَجتْ فى الناسِ حكمتُهُ جاءَ الرَّدى يستَقِى من فِيهِ ظَمْآنَا
ومدَّ كفيهِ واستلَّتْ أَصابعُهُ من الحنايا جنَانَا كان حنَّانَا

* * *

ياموتُ لم تختطف إلا عباءَتَهُ يا أَرْضُ ضمِّى بِحِقْدِ الطينِ جُثْمانَا
فُروحُه لم تزل فى الدَّهرِ حادية ركْب الأُولى حققوا بالعلم إيْمانَا
يا من تحديتَ سرَّ الموتِ مُنْتَصِرًا وصرت للأَرضِ والإِنسانِ وُجْدَانَا
لأَنتَ حكمةُ هذا الدَّهرِ ينْطِقُهَا يعْيا بها الموتُ لغزًا وهو أَعْيانَا
جعلتَ إرثك إرثَ الشمسِ تتركهُ فى كلِّ عيْنٍ ترى بالنور أَكوانَا

* * *

احمد لطفي السيد كما عرفته

كلمة الأستاذ احمد حسن الزيات

بين السحر والفجر من يوم الثلاثاء الخامس من شهر مارس لسنة ١٩٦٣ حين ينسلخ النهار من الليل وينبثق النور من الظلام ، تخلصت روح لطيفة من قيدها المادى الغليظ وصعدت الى مصدرها الأول ومرجعها الأخير .. تلك هى روح الأستاذ الفيلسوف أحمد لطفى السيد ، لفظها فى غير قلق ولا ألم كما ينسم الطفل النائم الهادىء .

وموت الشيخوخة المطمئنة نقلة روحية سعيدة من فناء منقطع الى بقاء متصل ، فهو موت وحياة فى وقت واحد معا . الشمس تغيب عن قوم فتكون غروبا فى المغرب وتطلع فى الوقت نفسه على آخرين فتكون شروقا فى المشرق . وشيخوخة لطفى السيد كانت ككهولته وشبيبته ، سلاما وطمأنينة لم يكدر صفوها حقد على أحد ولا طمع فى شيء . فكانت حياته الوادعة النافعة أشبه بحياة الجدول السلسل الرقراق يفيض على جوانبه الرى والخصب من غير هدير ولا طغيان ولا كدر .

كان فى كل أعماله العلمية والادارية والسياسية يستار سيرة العلماء ويستن سنة الفلاسفة لا يقول قولا ولا يعمل عملا الا فى حدود المنطق والخلق والقانون ، وكان لعبقريته وبلاغته يرسل القول فيكون مثلا أو حكمة ويفعل الفعل فيكون مثالا وقدوة .

وكان فى رزانة الحكيم ووقار الحليم يتحدث أو يناقش فلا يستفزه نزق جاهل ، ولا يستخفه غضب مكابر . فاذا اشتد الجدل فى حضرته بين اثنين فى مسألة فعلا الصوت واحتد اللسان قال لهما : علام الخصومة والخلاف ؟ فى المسألة رأيان ، فأحدكما من رأى والآخر من رأى .

وكان على شفوف بدنه باهر الجلالة ظاهر الأبهة لا يقبل اللغو فى مجلسه ، ولا يبالغ فى التعبير عن شعوره . فاذا ضحك لا يضحك بملء فمه ، واذا عبس لا يعبس بكل وجهه وانما هى الابتسامة الحلوة فى كل ما يحب أو يكره .

وكان أظهر مزايا لطفى السيد حديثه ، فقد كان آخر طبقة شهروا ببراعة الحديث من أمثال محمد عبده ، وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوى . فأنت فى حضرتهم لا تشتهى الكلام لأن لذتك فى أن تسمع ، ولا تثير الجدال لأن همك فى أن تستفيد . ولطفى السيد كان محدثا نقى الصوت حلو النغمة متئد الأداء واضح الجرس فكه اللسان متخير اللفظ ، فلو ذهبت تكتب ما يقول لكان قريب الشبه مما تكتب . وكان ينثر فى خلال حديثه الكلمة الفرنسية أو اللهجة الشرقاوية فتكسبه ظرفا ورقة . وكان مجلسه أشبه بمجلس صديقه أرسطو زعيم المشائين فى مماشية المظللة أو شيخه الأفغانى امام المصلحين فى قهوته المفضلة ، يتوخى فيه الفائدة واللذة ، فسامعه لا ينفك راضى العقل ريان العاطفة وكان بارعا فى سلسلة الحديث سريعا الى اقتناص المناسبة ، فلا تخشى على الحديث فى مجلسه أن يبوخ ، ولا على الصموت فى حضرته أن يحرج .

وكان أسبق معاصريه الى التجديد ، لم تعرف قبله فى الشرق كلمات الحرية والديمقراطية والاستقلالية بمعناها المطلق ، وأجلى مظهر لهذا التجديد كان فى نزعته السياسية وطريقته الكتابية ، ففى صحيفة الجريدة التى كانت لسانا لحزب الأمة وكان هو رئيس تحريرها نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الاسلامية .

وفى هذه الجريدة ابتكر أسلوبا للكتاب ، لفظه قدر لمعناه ووصفه طبق لموصوفه أو سبيله قصد لغايته ، فكان مذهبا جديدا جرى عليه الكتاب والصحفيون الى اليوم . وكان من سبقه الى التجديد أن دعا الى اصلاح الخط العربى وانشاء المجمع اللغوى وتعليم الفتاة المصرية .

قالوا فيه انه أستاذ الجيل وكان الأصدق الأحق أن يقولوا أنه أستاذ أجيال ثلاثة . فمنذ أن صدرت الجريدة فى عام ١٩٠٨ كان فيها وفى ندوتها مصدر توجيه ومشعل هداية . وكان يندو الى مجلسه صفوة الشباب والطلاب فيفتح قلوبهم للآراء الجديدة ويهيىء نفوسهم للقيادة الرشيدة ويجنبهم مزالق التطرف الجامح والتصرف المرتجل : وقرأ لهم منطق أرسطو وسياسته ، فتخرج عليه طائفة من الكتاب والمحامين تزعموا الاصلاح وقادوا النهضة ، وظلت أستاذيته متصلة الأثر من يوم أن خرجت الجريدة الى الناس الى يوم أن دخل هو فى جوار الله .

كان فى السنين الثمانى عشرة الأخيرة من حياته الطويلة الخصبة رئيسا لمجمع اللغة العربية ، فكان لهذه الأستاذية من قوة الشخصية وحضور الذهن وصدق التوجيه وسعة الاطلاع واستقامة المنطق وحدة النشاط ، الأثر البالغ فى اضطلاع المجمع بعبء رسالته . كان من أفهم الأعضاء لطبيعة اللغة ووظيفة المجمع وحقيقة التطور ، يرى كما نرى أن اللغة ملك للمتكلمين بها لا للواضعين لها ، فهم أحرياء أن يتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما ورث ، يعدل ويكمل وفقا لحالته وطبقا لحاجته . ففى عهده رد المجمع الاعتبار الى المولد وقبل أسماعا من المولدين ، وقرب المسافه بين الفصحى والعامية بقبول ما وضع الصناع والزراع والتجار وغيرهم من كل ذى حرفة .

كان تفكيره الحر وتجديده الواعى أصيلين فى فطرته ، ظهر أثرهما على رأيه وهو فى رونق شبابه . حدثنى رحمه الله عن سبب اتصاله بالامام محمد عبده قال : كان الشيخ ينتدب فى كل عام لامتحان طلاب الحقوق فى السنة النهائية ، وكانوا قد اقترحوا علينا فى امتحان الانشاء أن نكتب هذا الموضوع : (كيف كان للحكومة حق عقاب المجرم) وجعلوا زمن الاجابة عن هذا السؤال أربع ساعات على ما أذكر فكتبت المذاهب الأربعة التى قررها العلماء فى هذه المسألة ثم عقبت عليها ففندتها جميعا

ونفيت أن يكون للحكومة (حق) عقاب المجرم لأنها قائمة على القـوة لا على الحق وأسرفت فى التدليل على ذلك حتى ملأت الكراسـة . ثم خرجت فذكرت لرفاقى ما كتبت فاكتأبوا وقرروا جميعـا انى لا محالة راسب . واشتد من جانبهم اللوم والتقريع حتى ذهب من نفسى كل أمل فى النجاح . فلما كان يوم الامتحان الشفوى وقف الشيخ فقرظ موضوعى وكان قد وضع له الدرجة العليا ، ولكنه نصح لى أن أقتصد الآن فى هذه الآراء اشفاقا على . ومنذ ذلك اليوم لزمته .

كان أول يوم اتصلت فيه أسبابى بالفقيد العظيم يوم زرته فى مكتبه بالجريدة أنا وصديقاى طه حسين ومحمود الزناتى نشكوا اليه فصلنا من الأزهر ونحن فى السنة النهائية من الدراسة فيه لخلاف ثار بين الطـلاب فى درس أستاذنا المرصفى حول فقرة من خطبة للحجاج رواها المبرد فى الكامل ، وكان الخطيب الجرىء قد أساء الأدب فى حـديثه عن الطواف بقبر الرسول فكفروه لذلك . وكنا نرى أن سوء التعبير يوجب التعزيز ولا يوجب التكفير .. فلما دخلنا عليه هش بنا وبش لنا وسمع منا وسمعنا منه ، ثم قال بلهجته الرزينة أن الأمر أيسر من ذلك . ورفـع سـماعة التليفون وقال للشيخ حسونة النواوى وكان شيخ الأزهر يومئذ :

ان عندى ثلاثة من طلاب الأزهر فصلتموهم لرأى رأوه . ولعل من الخير ألا تقتلوا فى الشباب حرية الرأى ما دامت لا تخالف أصـلا من أصول العقيدة ولا نصا من نصوص الأحكام . وسـأله أن يلغى قرار الفصل ففعل . وانصرفنا من عنده وليس أحد من رجال الفكر وأصحاب البيان أحب الينا منه ..

كانت ثقافة لطفى السيد راسخة الأصل متينة القواعد ، أقام ركنها العقلى على فلسفة أرسطو وأفلاطون ، وركنها الأدبى على كتاب الله وشعر العرب . كان يحمل القرآن على ظهر قلبـه وطرف لسـانه ، يؤديه آية آية كأنما يتلو فى مصحف منشور . وكان كثير المحفوظ من الشعر يستمده

من أوعية شتى ويرويه عن أعصر مختلفة فكنا فى مجلس المجمع كلما ند عن ذاكرتنا شاهد من القرآن أو الشعر أسعفنا به .

وليس معنى ذلك أنه وقف فى فلسفته عند اليونان وفى أدبه عند العرب وانما كان يساير الفلسفة فى كل مذهب ويتابع المعرفة فى كل وجه .

ولطفى السيد بعد أولئك كله كان حليما رحيما ، يرتاح للخير ويدل عليه ، ويجنح للسلام ويدعو اليه ، وكان لنشأته السوية وبيئته القروية يسمت سمت الارستقراطيين فى الهندام والمظهر ، ويقصد قصد الديمقراطيين فى المعاملة والسلوك .. وهو الوحيد فى علماء العصر الذى طال أجله وحسن عمله ، وجمع بين ثقافة النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين .

رحمه الله رحمة واسعة وعوضنا من علمه وفضله خير العوض .

لطفى السيد كما أراه

كلمة الأستاذ محمد زكى عبد القادر

احتفلت محافظة الدقهليـــة بالذكرى الأولى لوفاة المرحـــوم لطفى السيد .. وأخص ما كان يميز منهجه وفلسفته ايمانه بالعقل . والعقل هو المنطق المرتب والاستنتاج والتحليل والنظر الى بعيد ورد الأشياء الى أصولها ومتابعتها فى نشأتها ، وقراءة التاريخ بذكاء وفهم مع الاستقلال فى الرأى . ولابد ، ونحن نقيم لطفى السيد ، أن نضع فى الاعتبـــار أنه نتاج جيل وظروف ومثل ومفهومات اختلفت الى حد كبير عما تلاها ، فقيمته يجب أن تكون دائما منسوبة الى عصره .

... وأهلت المنصورة قبل الظهر بقليل ، رقيقة أنيقة معطرة بأنفـــاس جميلة ، مدينة فى الشمال ، صمدت ذات يوم فى وجه الغزاة فحمت أرض الوطن ، وكانت قلعة صامدة .

وفى المساء التقى جمع كبير فى دار الشبان المسلمين للاحتفال بالذكرى الأولى لوفاة المرحوم أحمد لطفى السيد ... واستمعنا الى كلمة الدكتور طه حسين ألقتها الدكتورة بنت الشاطىء ، وتحدث فيها عن رعاية لطفى السيد له ، وأستاذيته وما كان يلقاه منه من عطف وما أمده به من علم ومعرفة وتوجيه وقال انه فقد الكثيرين ممن هده فقدهم ، ولكن فقد لطفى السيد هزه كما لم يهزه حادث من قبل ، وكما لا يمكن أن يهزه حادث من بعد .

واستمعنا الى الدكتور محمد عوض محمد فحدثنا عن لطفى الســـيد الأخ الأكبر ، والى الأستاذ أحمـــد الشرباصى فحدثنا عن لطفى السيد والدين ، والى الدكتور السعيد مصطفى السعيد فحدثنا عن لطفى السيد كمدير للجامعة والى الدكتور عثمان أمين فألقى كلمة الجامعات ، والى

الأستاذ محمد الجبار فأنشد قصيدة جميلة والى السيدة نظلة الحكيم فروت بعض الذكريات عن لطفى السيد وأناقته فى التصرف ولباقته فى معاملة الناس . واستمعنا الى كلمة الدكتور ابراهيم مدكور ، ألقاها الأستاذ شوقى أمين عن لطفى السيد فى المجمع اللغوى .

ولم ينفسح وقتى لشهود الليلة الثانية من المهرجان والاستماع الى الكلمات الأخرى التى ألقيت فيه ، فعدت الى القاهرة آسفا .

وعندى أن حياة لطفى السيد وفلسفته وتصوره لحياة الفرد والأمة والجماعة يمكن ردها الى أصول أربعة هى :

أولا — ايمانه بالعقل . والعقل هو المنطق المرتب ، والاستنتاج والتحليل والنظر الى بعيد ، ورد الأشياء الى أصولها ومتابعتها فى نشأتها ، وقراءة التاريخ بذكاء وفهم مع الاستقلال فى الرأى ورفض التبعية العمياء لشخص أو شىء . ومن هنا كان لطفى السيد يمجد العقل واعجابه بأرسطو وترجمته له هو نوع من تمجيد العقل . وتمجيده للعقل قاده الى تمجيد الفرد وتعزيز كرامته وتقوية شخصيته ، ودفع الضغط والجور عنه . والجماعة عنده ليست الا مجموعة من العقول المفردة التى يجب أن تترك لتفكر كل منها على نحو ما تشاء . ويترتب على هذا التفكير أن تسلط الفرد على الجماعة مرفوض . وأن ارادة الجماعة ، التى هى مجموعة عقول ، يجب أن تكون السلطة العليا فى الأمة والدولة .

ثانيا — ايمانه بالحرية ، وهو فرع مترتب على الأصل السابق ، وهو العقل . فما دام العقل هو المرجع لتصور الحياة وتحديد السلوك والعمل، وما دام العقل لا يمكن أن يزكو ويثمر الا فى جو الحرية ، فلا بد من تقريرها للفرد ، وتقريرها للفرد يستلزم حتما تقريرها للجماعة التى هى — كما قدمنا — مجموعة عقول .

وايمانه بالحرية مطلق ، فكما يراها ضرورة للانسان من حيث هو انسان ، وللعقل من حيث هو عقل ، فهى ضرورية لكل مظاهر الحياة ، ولكل الأسباب التى تصوغ العقول . فهو يقررها فى التربية والأسرة والمدرسة والجامعة . وهى عنده فى الجامعة ، ينبغى أن تبلغ أسمى

مراتبها . ومن هنـــا كانت دعوته الى تحرير المرأة من الحجاب والضغط ومســـــاواتها بالرجل ، وكانت دعوته الى تحرير الدين من الخـرافات والأساطير ورده الى مصادره الصافية الأولى ودعوته الى تحرير العقل من كل ضغط والى تحرير الجامعة من كل تدخل وتحرير الأمة من كل تسلط . وكان احترامه المطلق لآراء الآخرين ، حتى ولو كانت تخالف آراءه .

ثالثا — ايمانه بالتطور ، فهو يرى أن الجماعات فى حركة دائبة ، نحو الأفضل ، وان الانسان مطبوع على الرغبة فى التقدم . ولذلك يقرر من غير تحفظ ولا شروط أو اشتراطات ، أن جيل اليوم خير من جيل الأمس وان جيل الغــد خير من جيل اليوم . وان الأمة والأفراد والأشياء تتطور الى الأفضل دائما . وايمانه بالتطور ايمان بالدافع الداخلى فى الانسان ، وايمان بالانسان نفسه .

ويترتب على هذه القضية أن الآراء والمعتقدات والتقاليد ومنــاهج السلوك والتفكير والنظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية عرضة لتطور مســتمر ، فما دام الانســـان فى واقعه الداخلى والعقل فى نظره وانطلاقه ينشدان التقدم ، فلا بد من اعادة النظر فى التقدم وارتياد الجديد . ثم ان الثبات على شىء مناف لحركة الأشياء والأشخاص والجماعات . وهــذه الحركة الدائبة ، الدائمة كما هى قانون اجتماعى هى أيضا قانون طبيعى .

رابعا — ايمانه بالشخصية المصرية . فقد ردها الى أصولها القديمة ، استخلص من تاريخها أنها شخصية متحررة متطورة ، وان ما أصابها من تدهور بالاحتلال ، ليس أصيلا فيها ، ولكنه طارىء يزول مع صحة الجسد وشفائه من أمراضه . ولذلك رفض السيادة العثمانية وأصر على أن يكون المنهج الصحيح للتحرر هو دعوته التى عرف بها واقترنت باسمه وهى دعوة مصر للمصريين . فالاستقلال ينبغى أن يكون هدفا قوميا بعيدا عن السيادة العثمانية أو أى سيادة أخرى ، وان بلوغه لابد أن يكون بجهد المصريين الذاتى وبتضحيــاتهم دون اعتماد على أحــد أو دولة ، ورفض ضعف الضعفاء فى أول هــذا القرن واعتقادهم أن المصريين لا يصلحون للنهوض بذواتهم وانه لا بد لهم من معتمد ، وقد أخذ عليه أنه كان يهادن

المستعمرين فى بعض الأحيان ، وينأى عن الجهد العنيف فى مقاومتهم الى الاحتماء بالعمل لتقدم الأمة والاعتماد على التطور فى بلوغ أغراضها .

وهو مأخــذ صحيح اذا قيس بالتحمس الواجب للانبعاثات الوطنية وللكراهية التى لا بد أن تكون مشتعلة فى الصدر للمعتدين على حرمات الوطن ، ولكننا اذا رددناه الى لطفى السيد بايمانه ومعتقداته وصياغته العقلية ومنهجه فى تصـــور الأمور وعلاجهــا نرى أنه منهج متفق مع شخصــيته ، ولا يطعن فى وطنيته . فالخــلاف على الوسيلة وليس على الهدف .

* * *

وهناك — تفريعات هذه الأصول الأربعة التى اعتمدت عليها آراء لطفى السيد وفلسفته — جملة مظاهر طبعت حيــاته وأثارت عليه النقد والاتهام فى وطنيته حينا وفى دينه حينا آخر ، منها المظهران اللذان أشرت اليهما فيما ســبق وأولهما دعوته أن تكون مصر للمصريين بعيــدا عن ادعاءات السيادة العثمانية أو غيرها ، وثانيهما ما قيل عن هوادته فى مقاومة الاحتلال .

وهناك مظاهر أخرى ، فدعوته الى تحرير المرأة وتعليمها واشتغالها والى تحرير الدين من الخرافات والأســاطير جعلت الكثيرين يتهمونه فى دينه ، وواضح أنه اتهام يرجع الى الجهل وضيق الأفق ، وقد أثبتت الأيام فيما بعد صدق نظرته فى هذين الأمرين ، كما أثبتت صدقها فى أن يكون الاستقلال بعيدا عن ادعاءات السيادة العثمانية أو غيرها .

ولم يكن لطفى السيد بحكم تكوينه العقلى ثائرا ، بل ان الثورة أبعد ما تكون عن تفكيره ومنهجه ، ولذلك كان سلوكه فى الجانب الســياسى والوطنى سلوكا متزنا هادئا مصدره العقل وليس العاطفة ولم يعرف عنه فى الجيل الذى نشأ فيه وزكا اسمه أنه اشـــترك فى أى عمل ثورى أو اندفاعى ، بل ان أثره العملى فى الحركة الوطنية لا يكاد يذكر ، وان كان أثره العقلى واضحا لا ينكر

ومع ايمانه بالحرية ، كان فيما يبـدو يؤثر الامتياز العقلى بل يكاد يؤمن به ،فالحكم عنده ، مع وجوب أن يكون ديمقراطيا ، ينبغى أن يرتد الى ذوى العقول الممتازة ، ولعله تأثر فى هذا بما دعا اليه بعض الفلاسفة اليونانيين فى العهود القديمة ، ولعله لهذا السبب أيضـا كان أميل الى مذهب الأحرار الدسـتوريين ، فكانوا حزبه الذى ينتمى اليه وكانوا أصدقاءه الذين يأنس بهم ، ولا يعرف على التحديد ماذا كان موقفه فى سنة ١٩٢٨ حينما أوقف المرحوم محمـد محمود باشا الدستور ، ولكن المؤكد أنه لم يعترض على هذا العمل ، ولا يمكن أن يفسر هذا الموقف على أنه كراهية للدستور ، بقدر ما يفسر على أنه رغبة فى أن يتولى الأمر ذوو العقول الممتازة .

ولابد أن نضع فى الاعتبار دائما ونحن نقيم لطفى السيد أنه نتاج جيل وظروف ومثل ومفهومات ، اختلفت الى حد كبير عما تلاها ، فقيمته يجب أن تكون دائما منسوبة الى عصره ، وهى بهذه المثابة قيمة عظيمة جليلة .

وبعد ، ما أحسب المجال ينفسح لحديث أطول عن لطفى السـيد ، والحديث عنه يطول ويتشعب ويحلو ، فلأقف عند هذا الحد لأقول اننى ذهبت الى المنصورة سعيدا أن أتيحت لى الفرصة للاشتراك فى احياء ذكرى رجل ممتاز ، استطاع أن يؤثر فى الحيـاة المصرية بتلاميـذه ومريديه ، والأمثال التى ضربها أضعاف ما أثر بآرائه المكتوبة ، ولأعبر أيضا عن الشكر العميق لرجال محافظة الدقهلية أن تنبهوا الى احياء هذه الذكرى ، وللحفاوة التى لقيناها من السيد المحافظ اسماعيل فريد ومن الأسـتاذ عقيل مظهر والأستاذ الجيار ومن هؤلاء الشباب الأذكياء الواعين الذين حفوا بنا واستمعوا الينا واستمعنا اليهم ، وكان يسعدنى أن أذكر اسماءهم لولا خشيتى أن أنسى أو أخطىء .

عاشق المجد

للشاعر وهبه ابو عزيزه

* * *

عاشقُ المجدِ لم ينَمْ قبل أَن يُوفى القَسمْ
ساهرٌ ساهدُ الجوَى شاردٌ شاهِرُ العلـــمْ
قارعُ الكأْسِ من هنَا كانت الكأْس أَو أَلَـمْ
ذلك المــاردُ الذى أَيْقظَ الشعب بالقَلَمْ

* * *

مرَّ حينٌ على الحِمى فى ظلام بلا أَمــلْ
أَسلم الجَفْن لِلْكَرى وتَراخَى بِــلاَ مَلَلْ
حار فيه طبيبُــــهُ حينما استعصتِ العِلَلْ
وبكت مصرُ شَعبهَا وانحنى النيلُ فى خَجلْ
وإِذَا هاتفٌ سَرى كَسُرَى الهَمْسِ فى القُبلْ
كلٌّ ليل إِلى ضُحى وضُحى مصرُ قَدْ أَهَلْ
من هنا مطلعُ السَّنَا ذلك المطلعُ الأَجَــلْ
فارقُبُوا الأُفْق والمحُوا بين « برْقَيْنِ » من أَطلْ
حينما يُبْرِقُ السَّنَا ينْتَشِى ميِّتُ الطَّلَلْ

هكذا الشعبُ يرتَقى سُلَّمَ المجدِ فى مَهَلْ
ومنارات مجدِهِ . . . فى خُطَى عمره جملْ
يبعثُ اللهُ رُسْلَهُ بِهُدَى آيِه تَعُمّْ
إنَّ فرعون قد غَوَى والذى هَدَّهُ كَلِمْ
مِنْ هُنا يخلدُ الذى أيقظَ الشعب بالقَلَمْ

* * *

وقفت مصر كُلُّهَا تَجْتَلى طلعةَ الصَّباحْ
بين جهدٍ من الضَّنَى وذُبولٍ من النُّواحْ
أقفرَ الحانُ لا هوى لا نُدَامى ولا قِدَاحْ
هدَّها الرَّكْضُ لا تَعِى تَمزُجُ اليأْس بالجِراحْ
فى فيافٍ من الأَسى شاردٌ مطلقُ السَّراحْ
كيف يرجو على الظَّمَا أَنْ يرى الرِّىَّ فى البِطَاح ؟

***

وعلى غيرِ موعدٍ لمحوا من هنا السَّنا
دائما مِنْ هُنَا نَرى مشْرِقَ الصبحِ مِنْ هُنَا
كَبَّر الشعبُ نشوةً لِسنا فَجْرِهِ وَصاحْ
وتَنَادتْ دُموعُــــــهُ حىٌّ قَوْمِى على الفَلاحْ
وإذا موكبُ الهُدى قَادَهُ شامِخُ الهِممْ
من « جمالٍ » وصحْبِهِ قادةِ الفكرِ للأُممْ

* * *

« لجمالٍ » وفتيةٍ أَرجعُوا حَقَّنا بِدَمْ
فَسرى النورُ فى الحِمى يبعثُ الروح فى الرِّمَمْ
وأَتَى الشعبُ شَاكرًا للذى قد رعى الذِّمَمْ
ذلك الناسِكُ الذى أَيقظ الشعب بالقَلَمْ

الأَمانِىُّ دَائِمًـــــــا تَنْتَقِى أَنْبَلَ القُلُوبْ
ويدُ القُدْرةِ التى تُبرِمِ الأَمر فى الغيوبْ
تُطْلِعُ ! الفجرَ باسمًا ثم تمحوه بالغروبْ
لا لِيفْنَى وإنَّما ! بعد إغفاءةٍ يؤوبْ
هكذا الشعبُ إنْ بَدَا وجهُهُ ظَاهرَ الشُّحُوبْ
فالى حين يرتوى بكؤُوس العلا المذوبْ
وعلى الفكر صافيا دائما ترتقى الشعوبْ

ذلك الجيلُ نفحةٌ وهبَتْهَا لنَا هِمَم
تحملُ العبءَ لا تنِى ليس فى عمرها سأَم
ذاك أُستاذُ جيلنَا أَودعوا كفَّهُ العلمْ
علم الفكرِ فانبرَى يشعلُ الفِكر فى الظُّلَمْ
هذه الثورةُ التى أَنْهَضَتْ أَعظمَ الأُممْ

هبةُ الفكرِ من يدَىْ وارثِ الفكرِ من قِدَم

ذلك الناسكُ الذى أَيقظَ الشعب بالقَلَمْ

أنا من ظهر آدمٍ جئتُ شوقًا إلى المُنَى
فَتَعشَّقتُ طِينَتِي وتحمَّلتُها ضـــنَى
وتَلَمَّسْتُ فى لَظَى حُبٍّ حــواءَ خُلْدَنَا
فإِذا بى أَنَا الذى عاشَ بالوهمِ مُؤْمِنَا
نَسِى الحبَّ وادَّعى أَنَّهُ وَحْدَهُ هُنَـــا
عرْبدَتْ فى مكامِنِى عُقَدُ الذَّاتِ ... فانثَنى
ذلك العاشقُ الذى هدَّهُ الشوقُ ... خَائِنَا
يبتغى العيشَ وَحْدَهُ ومضَى صائحاً . . أَنَا
وأَنا يا أَخى .. أَنَا أَو أَنْكَرْتَ حُبَّنَا . . ؟
وبنُوا الأَرضِ . . أَهْلُنَا أَو نَغْتَالُ أَهْلَنَا . . ؟
قَسمًا بالمُنَى التى جئتُ مِنْ أَجلِها هُنَا
بالذى عاشَ قَبْلَنَا بالملايِينِ . . بعْدَنَا
إِنْ تنكَّرْتُ للمُنَى أَو تَهَدَدْتُ عُشَّنَا
سوف أُصليكَ حُبَّنَا فى كُؤُوس من النَّدَمْ
سوف أَتلو مزَامِرِى لِنُدَامَاى فى نَغَمْ
ستَرى الكرم مازجًا دَمْعهُ الحُلْو بالأَلم
وتَرى الوردَ نافِحًا بدَّل الطِّيب بالحِممْ
وسنَا عُمْرِكَ الذى لاَح فى روْضِكَ القِدَمْ
لَمْ تَر العيشَ هانِئًا فى وهادٍ ولا قِممْ

هكذا عاشَ شيخُنَا بعْدَمَا أَقْسم القَسمْ
كافح الظلم بالنُّهَى مِثْلَما بدَّدَ الظُّلَمْ
فارسٌ سَدَّدَ القنَا للأُولى استبعدُوا الأَلمْ
دَوَّخَ الغرب حينَما أيقظَ الشعب بالقَلَمْ

ذلك المنْطِقُ الذى دَاخَ من هوْلِهِ الذَّهبْ
فَمِن الفكرِ مَن هوى صاغِرًا داخِل العُلَبْ
ومن الفكرِ من مضَى فى يدِ المالِ كاللُّعبْ
ومن الفكر من سما واعتَلَى ذِرْوَةَ الحِقَبْ
يصقلُ الأَسرُ حدَّهُ فكما حُورِب احْتَرَبْ
إنَّمَا فِكْرُهُ الجنَى لِبَنِى شَعْبِهِ وهبْ
فإِذَا ظالمٌ بدَا وجدَ النُّصح قَدْ وجبْ
يستوى عنده جَنًى ثمر النصحِ مِنْ نَغَمْ
جنَّتَانِ تغنَّتَا بضروبٍ من الأَلَمْ
إنهُ فِى حياتِهِ عَدَمٌ جاءَ مِنْ عدَمْ
إنَّمَا الخلدُ للأُولى وهبُوا العُمر للأُمم
مِنهُمُ ذلكَ الَّذى أَيْقَظَ الشعب بالقلَم

قُلْ لمن أَوقدُوا لَنَا مِشْعَلَ الحقِّ فاتَّقَدْ
زرعوا بذرةَ العُلاَ فَغَدَتْ سَرْحةً لِغَدْ

وسقَوُهَا دمـــاءَهُمْ ودُمُوعًا من الكَمَدْ
ورعوْهَا بـأَعيــــنٍ أَجْهَدَتْ ذلك الكبِدْ
ورعوْهَا لِتَتَّقِـــــى شَرَّ حاسِد حسدْ
فقطفنا ثِمارهَـــــا رغدَةً أَيَّما رغَدْ
ثورةٌ دكَّتِ الخَنَا هزَّتِ البَغْى فارْتَعدْ
هدَّتِ العرشَ فَوقَ منْ عبدَ العرشَ واعْتَمدْ
وغَدا الشعبُ سيِّدًا بعدَ أَن عاش لا سَنَدْ
وغَدا خيرُهُ له ليس يغْتَالُهُ أَحدْ
يطلقُ الرَّأْيِ بعدَ مَا مجلسُ الأُمَّةِ إِنْعَقَدْ
ها هوَ الشعبُ بعدَ مَا ملكَ الأَمرَ قَد سجَدْ
للذى أَطْلَعَ الضُّحَى قَدَّرَ البعثَ فى العُقَدْ
ذلك الناسِكُ الذى وهب الروحَ للبلدْ
يوم أَن حقَّق المُنَى لبنى شعبه رقدْ

فاجعلوا دُرَّةَ السَّنَا فى ذُرا ساحةِ السَّنَا
« فَـابنُ » برقين ها هنا و « ابنُ لقمانَ » ها هنا
ذاك فى داره انْحنَى ذلك التـــاجُ لِلْقَدَمْ
وكذا شيخُ جيلِنَا حطم التَّاج فانْحطَمْ
امتطَى صهوةَ العُلا واعتلَى ذِروةَ الشَّممْ
إِنهُ النا سكُ النبِى أَيقظَ الشَّعب بالقَلَمْ

أحمد لطفى السيد والمرأة

كلمة الأستاذ احمد خاكى

سيداتى وسادتى :

لم يكن من حظى أن ألقى أحمد لطفى السيد فى حياته ، لكننى كنت على صلة فكرية به ، فقد كان صديقى كما كان صديقا لكل ناشىء فى بواكير هذا القرن . وهذه الصداقة الفكرية هى التى ترشح رجلا مثلى أن يتحدث عنه كما يتحدث التلميذ عن أستاذه .

أن المدرسة التى قامت فى مصر فى أخريات القرن التاسع عشر . وأول القرن العشرين ، هى الدعامة الفكرية التى قامت عليها ثقافتنا الحديثة ، وهذه الثقافة تمتاز فيما أعلم بناحيتين :

الناحية الأولى : هى اتصالنا بالثقافة الغربية ودراستنا بآثار الغرب من أدب وفن وتاريخ وقانون .

الناحية الثانية : هى احياء تراثنا القديم وتقييمه من جديد وبعث الروح فيه والاجتهاد فى تفسيره على ضوء هذه الحضارة الغربية والوافدة. وقد كانت عبقرية مصر أنها استطاعت أن تؤلف بين الحديث والقديم وأن تخرج الى العالم بثقافة خاصة بها احتفظت بمقوماتها كبلد عربى اسلامى من ناحية وكسبت مقومات أخرى بوصفها بلدا حديثا متمدينا .

وقد قامت هذه المدرسة التى زاوجت بين الثقافتين فى آخريات القرن التاسع عشر ، وانضم أعضاؤها لا ليكونوا حزبا سياسيا بعينه ولا ليكونوا شركة توصية خاصة ، وانما كان يجمعهم الفكر ، وتوطد العلاقة الشخصية ووحدة الغرض بينهم ، وكان منهم الأستاذ الامام وكان منهم قاسم أمين وسعد زغلول وكان منهم أيضا أحمد لطفى السيد .

وكانت الأفكار التى طافت بعقول هؤلاء والتى عبروا عنها فى كتاباتهم تتحقق فى بعض الأمثلة العليا التى خلصت لهم من دراساتهم الغربية ، ثم

استطاعوا أن يقروها ويثبتوها بدراساتهم فى تاريخ العرب والاسلام ، وأهم هذه الأفكار فكرة الحرية أولا ، وفكرة التطور أو النشوء والارتقاء ثانيا، ثم فكرة التقدم أو الكمال الانسانى كما أحبوا أن يسموها : فقد تبدو هذه الأفكار وكأنها وافدة من ثقافات الغرب لكنها فى نفس الوقت مؤيدة بأمثلة من تاريخ الفكر العربى والاسلامى . وكان على هذه المدرسة التى تتحدث عنها أن تبلور هذه الأفكار وان تخرجها الى الناس وأن تنشرها بين الناشئين .

وتبدو هذه الأفكار جميعا واضحة فى دفاع هذه المدرسة عن المرأة ، وقد اشتهر قاسم أمين بين زملائه بكتابته التى دافع بها عن المرأة فقد أخرج « تحرير المرأة » فى سنة ١٨٩٨ « والمرأة الجديدة » فى سنة ١٩٠٠ وأثار بذلك حركة فكرية اشتبكت فيها الأقلام واحتدمت فيها الأفكار . ولكن الحق أن قاسما لم يكن وحده صاحب الدعوة الى تحرير المرأة ، فقد سبقه الى ذلك رجل مثل رفاعة الطهطاوى ، وأيده فى ذلك الأستاذ الامام محمد عبده ، وذافع عن آرائه وأفكاره أحمد لطفى السيد . وحين توفى قاسم أمين سنة ١٩٠٨ خرج لطفى السيد بأكثر من مقال فى الجريدة يصف فيها الراحل الكريم ، ويذكر فيها الأسس التى قامت عليها دعوته ويردد فيها قواعد الشرع والتربية التى استند عليها قاسم فى هذه الدعوة .

فقاسم أمين عنده رجل شديد الحساسية مرهف الأعصاب ، يحمل بين جنبيه عاطفة تحنو على المظلوم ، وتبلغ به العدالة حدا تأبى فيه الا العدل والقسطاس المستقيم فى معاملة النساء .

هذه الأعصاب المرهفة ، والعاطفة الدافقة هى التى مالت به الى جانب المرأة ، وجعلت منه محاميا يصد عنها غوائل الرجل ، ويأبى عليها أن تكون جاهلة تقبع فى عقر دارها ولا ترى نور العلم . ولطفى السيد بعد ذلك يكتب المقال بعد المقال فى الجريدة ينبه الأذهان الى أنه ينبغى على المجتمع فى مصر أن يعلم نصف أفراده وأن يتيح للنساء نفس الحرية التى يجب أن تتاح للرجل ، بل أن الحرية للمرأة كانت أوجب لها فى هذه الحالة التى وجدها فيها .

فى مثل هذه الدعوة لتحرير المرأة كان لطفى السيد يرجع الى مبدأ الحرية الذى استقاه من قراءاته فى كتب الغرب ثم يرجع الى مبدأ المنفعة الذى كان يسود التفكير السياسى فى انجلترا فى ذلك العصر .

وقد ذكر لطفى السيد غير مرة انه كان يتبع هذا المبدأ الذى نادى به بنتام ، وجون ستيوارت مل . ويقضى مبدأ المنفعة ان كل قانون يجب أن يوضع وينفذ من أجل الخير العام ، وان معنى المنفعة أن يعم أكبر قدر من الخير على أكبر عدد من الناس . وقد كانت حرية المرأة وكسب حقوقها من بين هذه المبادىء التى كان يجب أن يؤخذ بها حتى ينال النساء أكبر جزء من الخير والمنفعة .

فأنتم ترون أيها السيدات والسادة أن فكرة الحرية هذه هى التى قام عليها مبدأ تحرير المرأة ، كما قامت عليها المبادىء القومية التى دفعت بلطفى السيد الى الأخذ بمبدأ الاستقلال لمصر عن دولة الخلافة وعن دولة الاستعمار فى وقت واحد ، وسترون فى حديثه عن الحرية أنه يغترفه من معين غربى هو هذه الثقافة السياسية التى يمثلها بنتام وجون ستيوارت مل وأنه يتمثل مبدأ الحرية فى نفس الوقت فيما ورثناه من آى الذكر الحكيم .

وقد كان شأن لطفى السيد فى ذلك الوقت هو نفسه شأن قاسم أمين، ومحمد عبده ، وهو ادماج هاتين الثقافتين والخروج منها بثقافة واحدة متعددة الجوانب ، هى هذه الثقافة المصرية الحديثة التى قام عليها كياننا الاجتماعى وتفجرت منها ثورتنا الكبرى ، وليست هذه الثقافة مسئولة عن تحرير المرأة فقط بل هى مسئولة أيضا عن اتجاهنا نحو الاستقلال التام وكفاحنا أمام المستعمر الغاصب وعطفنا على الفقراء والمرضى ، وجهودنا نحو الكفاية والعدل وهما نواة الاشتراكية التى نبعت من صميم واقعنا .

ويرتبط مبدآن آخران من مبادىء الفكر بموقف لطفى السيد وقاسم أمين من تحرير المرأة وهما « مبدأ النشوء والارتقاء والكمال الانسانى » وانتم تعلمون : أن مبدأ التطور قد خرج الى الوجود فى أول القرن التاسع عشر لكنه أولى قوة جارفة عندما ألف داروين كتابه عن « أصل

الأنواع » فى سنة ١٨٥٢ ، وقد أصبح مبدأ عام فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ، واحتدم الجدل حوله بين من ذهبوا الى التصديق به من رجال العلم ، وبين من أنكروه من رجال الدين ، وليس يعنينا فى حديثنا هذا الا أن نقول أن هذا المبدأ قد أصبح الأمل الأول للأمم المفكرة المغلوبة على أمرها كما كانت مصر فى آخر القرن التاسع عشر . وقد اتجه الفكر المصرى الى هذا المذهب من الناحية الاجتماعية وسماه المفكرون المصريون « النشوء والارتقاء » وكان المغفور له اسماعيل مظهر أول من أطلق عليه هذا الاسم وشاركه فيه لطفى السيد وقاسم أمين وكانوا يعلمون أن هذا الشعب يستطيع أن يكون ارادة لنفسه ، وأنه بالغ ما بلغته الأمم الأخرى ، وان للأمم قوة التحول والتغير ، وكان شعارهم فى ذلك هى هـذه الآية الكريمة « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وفى نفس الوقت الذى بشر به هؤلاء بفكرة التطور والنشوء والارتقاء بشروا بفكرة الكمال الانسانى أو استكمال النقص ، وقد كانت هـذه الفكرة تطوف بعقول المفكرين فى غرب أوربا وكان يسميها بعض الفلاسفة الفرنسيين Perfectabilité ويسميها لطفى السيد وأحزابه « فكرة الكمال » فاذا تصفحت كتابات هذا الرعيل الأول من المفكرين المصريين راعك منها أن كلمة الكمال هذه تتردد مئات المرات فيما يأخذون به من أسباب الفكر ، وقد تكون الأمة متخلفة وقد تكون مهضومة الحقوق ولكنها لا يمكن ان يحكم عليها بالموت بل ان سنة الحياة التى هى تستكمل ما فيها من نقص ثم تمضى فى طريقها الى هذا المثل الأعلى الذى نسميه « الكمال » وقد رأوا فى كتاب الله وسنة رسوله وما يبلور لهم هذا المثل الأعلى .

وقد كان الدفاع عن المرأة هو الجهد العظيم الذى بذله قاسم أمين ولطفى السيد فى سبيل النشوء والارتقاء وفى سبيل الكمال أو استكمال النقص ، وقد رأوا أن نصف الأمة يعوزه التعليم والتربية ، وانه لن يكتب لهذه الأمة السير قدما الى مثلها الأعلى ، الا اذا اتيح للمرأة أن تتعلم وأن تشارك الرجل فى الجهود التى يبذلها فى الحياة العامة .

وقد تبدو آراء لطفى السيد فيما كتبه فى الجريدة عند وفاة قاسم أمين آراء متواضعة اذ لم يطالب الا بأن تلتحق الفتيات « بالمدرسة السنية » لكنها كانت مطالب ثورية فى الوقت الذى كتبت فيه . أما اصلاح الأسرة والحد من تعدد الزوجات والطلاق فانها كانت تبدو فى ذلك الحين اعتداء على سلطة الرجال .

كان لطفى السيد رائدا من رواد الفكر المصرى الاسلامى فى تلك الفترة وهذه الأفكار جميعا هى التى ترسبت فى ضمير الناشئة ، وآنبثت فى أفئدتهم وهى التى هيأت النقلة التى أنتقلت بنا من مجتمع يرين عليه النفاق والرجعية الى مجتمع سليم تشيع فيه الحرية وتتكامل القوى .

وقد كان للطفى السيد أثر كبير فى الحركة النسائية فى مصر ، فقد أفسح صفحات الجريدة لباحثة البادية وشجعها على الكتابة وخصها واترابها من النساء بندوات كن يحضرنها لتبادل الرأى . وحين أخرجت باحثة البادية كتابها « النسائيات » فى سنة ١٩١٠ قدم لهذا الكتاب ولا تزال مقدمته من أنبل ما يقرأ عن الحركة النسائية وآمالها فى وطننا الحبيب .

وحين ولى الجامعة كان متأثرا كل التأثر بفكرته عن تعليم النساء ، ودخل على يديه مجموعة من الطالبات فى غفلة من الجهات الرسمية .. وما زال يوافى أولئك الطالبات بتشجيعه ومشورته حتى اعترفت بهن الحكومة وحتى أصبح العلم بعد ذلك مشاعا للذكر والأنثى .

هذه ناحية من نواحى لطفى السيد المفكر الذى عرف أن فى صلاح المرأة صلاحا للمجتمع نفسه ، وان تعليمها فرض واجب من أجل الخير العام ومن أجل صلاح الأمة ومن أجل القومية والدين ومن أجل المثل الأعلى الذى كان يسميه « الكمال » .

رحم الله الفقيد والهمنا القوة والشجاعة على ان نهتدى بهديه .

في مهرجان الذكرى الأولى لوفاة معلم الجيل

كلمة الدكتورة بنت الشاطئ

كان الأسى فرضا لو أن الردى　　قال لنا : افدوه ، فلم تفده

مضى حول كامل منذ غاب شخص الفقيد عنا ، فاذا رأيتموني أتحدث عنه فأمسك دمعي لا أبكيه ، فلا تحسبوا أني أتأسى بوصية الشاعر لبيد لابنتيه منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان :

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

كلا .. فما أذكر أني بكيت على الفقيد الا مرتين اثنتين يوم رحيله عن دنيانا :

المرة الأولى : حين دخلت غرفته اثر وفاته ، فشهدت جسمه النحيل الضئيل جثة هامدة قد انطفأت فيها الحياة ، ورفت على ملامحه مع غبرة الموت ، سكينة وادعة ، وراحة التخفف عن عبء الحياة .

والمرة الثانية ، التي بكيته فيها ، حين انفض موكب جنازته ، وتوجهنا نحن خاصة أهله وعشيرته الى مقابر الخفير فأحطنا به لحظة نودعه وداعا لا لقاء بعده ، ثم أسلمناه الى من غيبوه تحت الثرى . وخلفناه وحيدا . ومضينا :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا　　أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر

والحق أني ما كنت أبكيه ، فقد طال احتضاره على عيني ، وأحسست أنه مل البقاء وتعب من الدنيا ، وعبثا حاولت أن أتخلص من الشعور بأن أوان رحيله عنا قد حان .

وعبثا كذلك ، حاولت أن أتجاهل أنه بدأ يخطو متمهلا على المعبر الخفي الذي يفصل ما بين الحياة والموت ، وأنه يمضي رويدا ، بعيدا

عنا ، فى دعة وهـدوء واستسلام ، وقد وهن جسده ؛ وعاد بيننا أشبه بطيف تخفق فيه الروح تواقة الى الافلات من سجن المادة والانطلاق من أسر الأرض ..

فكان من البر به ألا أبكيه عندما أفلت وتحرر وانطلق .

انما كنت أبكى على نفسى ، فقد كان الفقيد لى أبا .

ومحنة اليتم لأمثالنا ، لا يطول معها البكاء ، وانما يوغل الحزن فى أعماقنا شجنا مكتـوما مطويا ، يداريه التصبر والتجلد ، ويرهفه الكتمـان والعجـز :

كان الأسى فرضـا لو ان الردى
قال لنـا : افـدوه ، فلم نفـده

ويمضى الحول كاملا ، وأسعى مع الساعين الى مهرجان ذكراه ، فى أرض مولده ومهد نشأته وربوع صـباه ، وادعى مع هـذه الصفوة من الأساتذة والأدباء فأجد مكانى بينهم مكان بنت الفقيد ، تصغى فى زهو وشجو ، الى ما يتحدث به المتكلمون الكرام عن مجد الراحل العظيـم ، وقيادته للأمة فى معركة وجودها الفكرى والقومى .

فاذا جاء دورى ، فالحديث عن هذه الأبوة الغـالية التى أتاحت لى أن أعرف الفقيد عن قرب ، فى جوهر انسانيته وسر حقيقته .

ولقد كنت قبل أن ألتقى به ، لا أعرف فيه الا ما يعرفه عامة قومى ، أستاذ الجيل ومعلم الأمة . وعجيب حقا ، أن كان بدء اتصالى الفكرى به على البعد ، فى هذه البلدة الطيبة ، التى نزحت اليها فى مستهل صـباى ، لأشغل وظيفتى الأولى : معلمة فى مدرسة البنات الملحقة بمعلمات المنصورة وكان طموحى — بعد أن نلت من المنزل شهادة الكفاءة للتعليم الأولى — لا يمتد الى ابعد من نيل شهادة التعليم الاضافى ، وهى أقصى ما تستشرف

له مثيلاتى ممن لم يدخلن مدرسة ابتدائية ولا ثانوية . وفى جولتى الأولى بالمنصورة قصدت الى « مكتبة السروى » أبتغى شراء كتاب أو كتابين ، على قدر ما تسمح به ميزانيتى ، وقوامها أربعة جنيهات وعشرة قروش ، مرتبا شهريا أنفق منه على غذاء الجسم والعقل والوجدان .

وقدم لى صاحب المكتبة ، كتاب « حيـــاة محمد » لهيكل ، فتلهفت على شرائه ، لكننى رددته فى حسرة حين لم أجد معى ما يكفى لدفع ثمنه . وكدت لا أصـــدق سمعى حين عرض على صاحب المكتبة ، أن أستعير ما شئت من كتب أطالعها ثم أردها نظير أجر زهيد ! ولم يدر « الســيد السروى » أنه بذلك العرض المفاجىء ، وضــع نقطــة تحول فى مجرى حياتى ، فلقد أمضيت فى المنصورة عاما كاملا قرأت فيه ما كان لديه من كتب حديثة لم يكن لى عهد بمثلها قط ، فى مكتبة بيتنا التى لا مكان فيها لغير كتب الشريعة والتفسير والتصوف ، وقديم علوم العربيــة وتاريخ الاســـلام .

وتفتحت أمامى آفاق جديدة للمعرفة ، بما طالعت من حديث الكتب ، مؤلفة ومترجمة ، وفيها التقيت بأحمد لطفى السيد ، وآخرين من مفكرى العصر وأدباء الجيل ..

وعند مفترق الطريق : حولت اتجاهى من طريق التعليم الأولى الى طريق الجامعة . وكان على ، لكى أبلغها ، أن أتقدم من المنزل لامتحــان شهادات الابتدائية والكفاءة الثانوية « البكالوريا » ، ثم لمـا قطعت الشـــوط ، ووصلت الى الجامعــة وأنا ألهث من مشقة المسعى ووعورة الطريق ، ألفيت بابها فى وجهى موصدا ، اذ كان الانتساب اليها غــير مباح . ولم أتصور امكان التحاقى بها علنا ، طالبة منتظمة فأبوء بلعنة والدى .

والى الأستاذ الجليل « محمد حسن العشماوى » أدين فيما أدين — بفضل لقائى الأول بأحمد لطفى السيد مدير الجامعة . فقد كان الأستاذ العشماوى حفظه الله ، هو والذى تحدث فى أمرى الى الأســتاذ المدير ،

واستأذن لى فى أن ألقاه حيث أمضيت فى حضرته ساعة واحدة ، خرجت بعدها وقد ظفرت بأب روحى ليس فى الناس مثله ..

ومضت أعوام دراستى الجامعيـــة الأولى فى صراع مرير مع ظروفى المـــادية والعائلية واللوائح الرسمية ، وأنا أتحاشى ما استطعت أن أشق بمتاعبى على ذلك الأب الكريم ، حتى حان موعد امتحانى لدرجـــة الليسانس ، ففوجئت به الى جانبى ، يحضر امتحانى الشفهى ، ثم يأمرنى أن أتوجه للقائه فى مكتبه بالجامعة ، فلما فعلت تلقانى عاتبا ، ينكر على أنى لم أرع حق أبوته فيمـــا أخفيت عنــــه من أزمة مررت بهـــا ، وحدثت عنها أستاذى « الشيخ مصطفى عبد الرازق » رحمه الله .

قلت معتذرة : كرهت أن أشغلك بأزمة عارضه مع ما أعلم من ثقل أعبائك وكثرة شواغلك . فصمت مليا ، ثم قال بصـــوت رقيـــق خافت : « كأنك ظننت أن بنوتك عبء على : فمـــاذا لو علمت أنك لست أحوج اليها منى » ؟ ..

وشدتنى اليه هذه الكلمة المثيرة بأوثق رباط ، وفتحت لى من مغلق عالمه الخاص ما أخصب وجودى الانسانى بمدد سخى متصل ، من الشعور المرهف ، والفهم العميق ، والوعى المدرك لبطولة الانسان فى احتمــــــال الألم .

وكان بيته بيتا لى ، أغدو اليـــه وأروح فأجد فيه الأب والصـــديق والمعلم . ولست أتحدث عما كان له من عميـــق الأثر فى حيـــاتى الفكرية ودراستى العلمية ، فذلك مالا أحيط به بيانا فى مثل هذا الموقف وانما التفت الى دروس أخرى مما علمنى :

فأشهد ما عهدته قط ، على طول صحبتى له ، قد حمل لأى انســـان ضغينة ، ولا سمعته قط تكلم فى أى فرد كلمة سوء ، وكنت كلما شكوت اليه مايصدمنا من صغار ناس يبدون فى الأعين كبارا ، تبسم ضاحكا من سذاجتى ، وسألنى : متى أتعلم أن أغفر للبشر ضعفهم وأنا منهم .

وأروح أعرض عليه حطام تماثيل منهارة ، أقمنـــاها فى حرم وجودنا الفكرى ، تحف بها هالات من اكبارنا واجلالنا ، فخان أصحابها ثقتنا فيهم

وانكشفوا أمام أعيننـــا ، فيعلمنى أن الخطأ خطؤنا نحن الذين جردناهم من بشريتهم وافترضنا فيهم العصمة من الانحراف والسـقوط ، فكانت فجيعتنا فيهم بقدر ما نسينا أنهم بشر ..

وطالما ذهبت اليه منفعلة بثورة غضب لضلال الموازين فى بيئتنا العلمية ، واختلال القيم ، واهتزاز المثل فى أعين الشباب حين يرون النفاق يجدى والوصولية تروج والهوى يعبث . فعلمنى أن هذا كله لا يعدو أن يكون ظاهرة طبيعية فى مجتمـع طال عهده بالظلم والطغيـان ، وابتلى بأقصى ضروب الفردية النفعية ، ولا بأس علينا من هذه المحنة فهى تبـلو قدرة الشخصية المصرية على الصمود ، وتصهر معدنها ، وتكشف عن مذخور حيوتيها .

ولم يكن رحمه الله يضيق بشىء ، مثلما يضيق بمن يقولون ان الأمس أفضل من اليوم . فقـد كان عدو الأمسـية ، يراها ضد ناموس الكون وقانون الطبيعة وسنة التطور . ولم يهتز ايمانه بحتمية التطور حين ادلهم ليل محنتنا ، بل مضى يعلمنا أن الحياة لا يمكن أن تسير الى خلف ، وما رأيناه من ظواهر مكذبة لقانون الطبيعة وسنة التطور ، ليس الا من خداع البصر ، كراكب القطار يظنه لايتحرك ، وينظر من النافذة فيتوهم أن الأشياء هى التى تتحرك الى وراء ، مع أن القطار منطلق الى غايته ! وكان يقسو فى لومنا حين نأخذ هذه الظواهر أخذا سطحيا ، وتخدعنا الرؤية الخاطفة ، فنخطىء التفسير ونضل فى الحكم ضلالا بعيدا ..

وكان ايمانه بحرية العقل ، لا يقل عن ايمانه بسنة التطور ، حيث كان يعتقد أن الحرية أصل فى فطرة الكائن الحى ، وحرية العقل هى المظهـر الأعلى لانسـانية الانسان . وقد امتحنت هـذه الحرية فى عصره أقسى امتحان ، ومرت بأزمات بعد أزمات ، اختلطت فيها المفاهيـم وتشابهت القيم ، فكفر بها من كفر ، وأساء الظن بها من أساء ، وبقى شيخنا على ايمانه ، يعلمنا أن الأخطاء التى اقترفت باسم الحرية وزيفت شعارها ، انحراف عن الأصل وشذوذ على فطرة الانسان « والخطيئة الكبرى أن

نكفر بالحرية لأن ناسا أساءوا فهمها أو اعتدوا عليها ، بدلا من أن نقاوم العدوان ونصحح الزيف » .

ولقد امتد به العمر وهو يحدو مسرانا فى ليلنا الطويل بدعاء الحرية ونداء مصر للمصريين ، فلما قامت الثورة كان أعمق ما انفعل به منهـا ، أن ردت حكم مصر الى أبناء البلد الأصلاء .

وربما بدا غريبا أن أقول انه كان ممن أججوا ضرام الثورة ، مع أن أكثر الناس لم يعرفوا فيه الا شخصية المفكر الهادىء الوديع ؛ ومـع أن المتصلين به ، طالمـا سمعوه يعلق على الأزمات والـكوارث والأخطاء بكلمته التى صارت شبه لازمة له : « كله طيب » :

ولكن تاريخنا ، يعرفه قائدا ثوريا ، بما حرر من عقولنا وضمائرنا ، وبما أثار فى أعماقنا من شوق الى الحرية ، ووعى للذات ،وايمان بمصر

ولم تكن كلمته « كله طيب » رضى بالواقع ، وقناعة بالموجود ، وانما كانت شعار مذهب له فى فاسفة الاجتماع ، خلاصته أن شعلة الحق والخير والجمال لا يمكن أن تطفئها هوج الأعاصير ، وأن الحياة ماضية فى طريقها خاضعة لسنة التطور والارتقاء ، مهما تعترضها العوائق . وبلغ من عمق اعانه بحتمية التطور أن رأى فى العوارض المرضية نوعا من الابتلاء لصلابة الأمة وامتحان صـلاحيتها للبقاء ، فان الفسـاد يدمر الخلايا العفنة ، فـلا تعود عبئا على بذرة الحياة تستنفد طاقتها ، وأن ضراوة الشر فى عصور الانحطاط كانت تحديا لابد منه ، لتجديد الثقة فى الخير ، وحفز قواه على النضال .

ولست أقول ان الأمـة خسرت معلمها بموته ، فلقد كان من بين ما علمنا أن المـادة تفنى والعرض يزول ، ويبقى الجوهر حيا خالدا ، لا يفنى ولا يموت .

انما الخسارة خسارتنا ، نحن أهله وأصدقاءه الذين شـهدوه مسجى على فراش موته ، وصحبوه فى رحلته الأخيرة الى المقابر ، واختلط صوت معول اللحاد فى سمعهم بصدى من صوت أبى العلاء يرثى الانسان :

رب لحــد قد صار لحدا مرارا ضــاحك من تزاحم الاضــداد
ودفــين عــلى بقــايا دفــين من قــديم العصــور والآبــاء
صــاح هذى قبورنا تمــلأ الر حب فأين القبــور من عهــد عاد
خفف الوطء مــا أظن أديم الأر ض الا من هــذه الأجســاد
سر ان اســطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا عــلى رفات العبــاد
وقبيــح بنـــا وان قــدم العهـــد ، هوان الآبــاء والأجـــداد

ثم مات الصوت وغاب الصدى ...

وعدنا ، بعد أن ودعناه ، يتامى ...

ومضى عام ...

وتدعونا محافظة الدقهلية للاحتفال بمهرجان ذكراه .

ونسمع أنها أعدت عدتها لتكريمه ، بنقل مكتبته الى المنصــورة وانشاء متحف لمؤلفاته ومخلفاته فى « برقين » وانشاء منح دراسية وجوائز جامعية سنوية باسم الفقيد ، واقامة تمثال له فى عاصمة الاقليم .

والجامعة قد اكتفت فى تحية فقيدها الأكبر بتعطيل الدراســة يوم وفاته لتشييع جنازته ، ولو كان بحيث يستشار فى هذا التعطيل ، لأنكره وأباه ! ! .

ولم نسمع على مدى العام ، أنها فكرت فى اطلاق اسم أبيهــا على قاعتها الكبرى ، كما أطلقت جامعة الأزهر اسم « الامام الشيخ محمد عبده » على أكبر قاعة فيها .

ولا سمعنا أن الجامعة أنشأت ، أو فكرت فى انشاء كرسى باسم أبيها فى أحد أقسام الفلسفة أو الصحافة أو القانون أو الفكر الســياسى أو التاريخ القومى .

بل لم نسمع أن الأساتذة الجامعيين من تلاميذ الفقيد وأصــدقائه ،

اجتمعوا على مشروع علمى تذكارى للرجل الذى علمهم وقاد خطاهم على الطريق حتى أوصلهم الى مناصبهم العالية ! .

وكأن « محافظة الدقهلية » أولى من الجامعة والجامعيين ، بتكريم ذلك المعلم العظيم الذى لا أذكر أنه زار بلدته فى الثلث الأخير من حياته ، ولا اتجه بوجدانه اليها .

وانما الذى أذكره أنه ظل ما عاش يقدس الجامعة التى صنعها على عينه ، لتكون منارا فكريا للأمة ، ومركز تعبئة لطاقاتها العقلية ، وحراسة لوجودها المعنوى ! .

الذى أذكره ، أنه ظل الى آخر لحظة من عمره ، يفكر فى الجامعة ويرنو اليها بكل وجدانه ، ويسميها « معبد الفكر » ! .

وكدت أسأل :

هل فيمن أطلقت الجامعات المصرية أسماءهم على مدرجاتها ، من صنع للجامعة ما صنع لها أبوها لطفى السيد ؟ .

أو فيمن سوف تطلق أسماءهم على قاعاتها ، أو تنشىء منحا وجوائز جامعية لذكراهم ، من تدين له الجامعة بمثل ما تدين به للطفى السيد ؟ .

لكنى ذكرت بعض ما علمنى لطفى السيد ، فلم أجد جدوى من مثل هذا السؤال أو ذاك ...

وانى لأتمثله الآن ، يصغى الى شكواى من ذاك العقوق والجحود والنكران ، ثم لايعلق بأكثر من قوله : هذه طبيعة البشر ! .

فليرحم الله معلمى ...

وليرحمنا من بعده ! .

احمد لطفى السيد

والطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية

كلمة الدكتور محمد عبد اللطيف حمزه

أعلم جيدا أن مارشحنى لهذا الموقف الذى أشارك به فى مهرجان لطفى السيد أننى منـــذ عشر سنوات وضعت كتابا موضوعه « لطفى السيد» ، وهذا الكتاب ليس الا حلقة من سلسلة علمية باسم «أدب المقالة» الصحفية يدرسها ويمتحن فيها طلبة قسم الصحافة بجامعة القاهرة .

وهكذا ترون أيها السادة أن قسم الصحافة قد أدى بعض واجبه نحو أستاذ الجيل بطريقتين :

الأولى — بأن جعل منه موضوعا لدراسة الطلاب قبل تخرجهم فى الجامعة .

والثانية — أنه جعل منه موضوعا للدكتوراه كما حدث ذلك مع صديقى الدكتور حسين فوزى النجار الموجود بيننا الآن .

وقد كان على قبل أن أدفع الى المطبعة بالكتاب الذى وضعته عن لطفى السيد أن أسعى الى لقاء لطفى السيد باعتباره وثيقة حية من وثائق تاريخنا الحديث ، ولثقتى فى أنه رجل عدل ينصف الناس من نفسه أكثر مما ينصف نفسه من غيره فهو لايوحى الى المؤلف بفكرة تزيد فى مجده ، لكى يكتبها الباحث فى بحثه وما حاجة لطفى الى شىء من ذلك وقد بلغ من المجد أقصاه ومن الشرف أعلاه ومن الشهرة غايتها .

ولقد أجريت مع أستاذ الجيل حديثا صحفيا أثبته فى مقدمة الكتاب قلت له فى جزء من هذا الحديث :

يقولون أن العلمــاء والكتاب فى كل زمان ومكان هم الأوصـــياء الروحيون على الملوك والرؤساء ، فاذا كان هذا صحيحا فهل أديتم واجبكم نحو الملك السابق قبل أن يزج به فى طريق الفساد والانحراف والغواية ؟

فقــال الأستاذ : أصبت فى قولك العلماء هم الأوصـــياء على الملوك والرؤساء ولكن اسمع ما أقوله لك :

على أثر تولى الملك فاروق سلطته الشرعية بعـــد بلوغه سن الرشد جاءنى رسول من القصر الملكى وقال لى : ان القصر يدعوك لكى تكون معلما للملك الشاب ورائدا له .

فقلت للرسول : بارتياح عظيم أقبل هذه المهمة الجليلة ولكن بشرطين لا ثالث لهما .

أولهما : أن أستقيل من جميع الوظائف الحكومية على ألا أعود اليها .

ثانيهما : أن أكون حرا فى لقاء الملك فى الزمن الذى أختاره والمكان الذى أحدده .

وبعد شهرين عاد الرسول وقال لى ان القصر عدل عن الفكرة التى عرضتها عليك ...

ومنذ يومئذ والملك الشاب فى يد الحاشية التى انحرفت به على النحو الذى تعرفه ..

* * *

الحق . لقد كان لطفى مستعدا فى كل وقت لأداء واجبه نحو مصر ذلك البلد الطيب الذى ولد التمدن مرتين كما كان يقول .

ولكن ما نصيبه بالضبط من الحركة الوطنية التى انتهت بالاستقلال العام سنة ١٩٥٤ ؟

هنـــا نعود بالذاكرة الى الوراء لنرى أن الحركة الوطنيـــة بمعناها الصحيح انما مرت بأطوار ثلاثة :

الأول — هو الطور الذى اقترن بظهور المؤيد واللواء والجريدة — أو بصورة أخرى — بظهـور على يوسف ومصطفى كامل ولطفى السيد . ولأن الحركة الوطنيـة كانت بقيادة هؤلاء الثلاثة فقد أطلق المؤرخون على هذا الطور من أطوارها اسم (الطور الصحفى من أطوار الحركة الوطنية) .

الثانى — الطور الذى اقترن بثورة سنة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول . وهو الطور الذى بنيت فيـه الحركة الوطنيـة على أساس المفاوضات المصرية البريطانية . ولذا سمى فى التاريخ بطور الثورة والمفاوضات .

ثالثها — الطور الذى اقترن بثورة الجيش المصرى الباسل فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؛ وهو الطور الذى اقترن بزوال الملكيـة وقيـام الجمهورية وجلاء القوات البريطانية وبناء الوطن العربى من جديد حتى يصبح قوة لها وزنها فى عالم اليوم — أو بمعنى آخر — قوة تسـتطيع المشاركة الصحيحة فى اقامة السلام العـالمى .

الحق لقد كانت كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث قاعدة للمرحلة التى تلتها . وكما يقول الرئيس جمال عبد الناصر (ان كفـاح أى شعب جيلا بعد جيل بناء يرتفع حجرا فوق حجر وكما أن كل حجر فى البناء يتخذ من الحجر الذى تحتـه قاعدة يرتكز عليها ؛ كذلك الأحـداث فى حياة الشعوب . كل حدث فيها نتيجة لحدث سبقه ، وهو فى نفس الوقت مقدمة لحدث ما زال فى ضمير الغيب) .

غير أنه ما دمنا نتحدث اليوم عن لطفى السيد فنحن مضطرون الى الوقوف عند المرحلة الأولى التى سميناها (الطور الصحافى) من أطوار الحركة الوطنية . فهى التى توضح لنا نصيب لطفى من هذه الحركة بوجه خاص .

ان الحقيقة التى لم تنل حقها من الدراسة الى اليوم هى الحقيقـة القائلة بان الاحتلال البريطانى وان كان كارثة على مصر والمصريين فان له

مع ذلك فضلا عظيما فى ظهور روح المقاومة عند المصريين ، وهى مقـاومة بدت فى الحركات الوطنية من جانب والصحافة المصرية من جانب آخر .

جاء الاحتـلال وبنى سياسته على الاحتفاظ بمصر لأطول مدة ممكنة وسلك فى ذلك الطرق الآتية :

(ا) اهمال التعليم وافساد اخلاق المصريين .

(ب) تضييق الخناق على الحكام الشرعيين .

(جـ) رمى المصريين بتهمة التعصب الدينى والحط من شأن الدين الذى تعتنقه الأكثرية وهو الاسلام .

(د) اذلال المصريين حتى لا تكون لهم شخصية قوية .

فماذا يفعل المصريون وقتئذ ؟

لقد وضعوا لأنفسهم سياسة جديدة يبلغون بها كل هذه المقاصـد الوطنية الجليلة . وبنيت هذه السياسة على ما أسماه لطفى السيد باعداد الأمة المصرية لبلوغ الاستقلال وتزويد المصريين بالأدوات اللازمة لهذا الاستقلال » .

لكن ما هى أدوات الاستقلال ؟

لقد كانت فى نظر الثلاثة الكبار وقتئذ (على يوسف ومصطفى كامل ولطفى السيد) هى :

العلم والخلق ، والثقة بالنفس ، والايمان بالشخصية المصرية وبقدرتها على ابلاغ المصريين كل ما يريدون .

ولكن ما هى الوسيلة السريعة الناجحة للوصول الى كل ذلك ؟

انها الصحافة .

الصحف التى تستطيع أن تدرك أن السياسـة التعليمية للمصريين سياسة ترمى الى انشاء الجامعة المصرية ليتمتع المصريون بالتعليم العالى ولا يحصروا أنفسهم فى الكتاتيب كما شاء لهم الانجليز .

والصحافة هى التى تدافع عن المصريين من الناحية الدينية . فتنفى عنهم تهمة التعصب الدينى وتفهم الأجانب حقيقة الدين الاسلامى وانه دين يحترم حقوق الانسان ، ويدعو الى الشورى ويتمسك بالحرية ويدعو الى قدر من الاشتراكية يكفى لاسعاد الشعوب التى تؤمن به .

والصحف هى التى تنمى الشخصية المصرية .. الخ وتدافع عن قضية المصريين وتساعد على تنقية عقولهم ونفوسهم من رواسب الاحتلال .

والصحف هى التى تنمى الشخصية المصرية .. الخ وتدافع عن قصة الكفاءة المصرية وتثبت للاحتلال أن المصريين قادرون على حكم أنفسهم بانفسهم وانه لا حاجة بهم الى من يعلمهم كيف يديرون البلاد ويقودون سفينة الحكم .

ومن هنا لاحظ التاريخ ان الأحزاب الهامة اذ ذاك نشأت فى دور الصحف الكبرى فحزب الأمة نشأ فى الجريدة ؛ وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية نشأ فى المؤيد ، والحزب الوطنى نشأ فى اللواء .

ثم من هنا توزع الزعماء الثلاثة على ميادين ثلاثة ، وان كانوا قد اشتركوا فى جميع هذه الميادين ليعطوا الحركة الوطنية قوتها ومغزاها التى عرفها التاريخ .

فأما على يوسف : فتولى الدفاع عن الأمير أو بعبارة أخرى كان نصفه لهذا الأمير والنصف الآخر للجماهير .

وتولى الدفاع أيضا عن الدين الاسلامى وعن كفاءة المصريين واستحقاقهم لحكم أنفسهم .

واما مصطفى كامل : فكان زعيم الحركة الوطنية وداعية مصر فى الداخل والخارج .

وهو الذى جعل من قضية دنشواى المعروفة قضية لانجلترا فى العالم المتمدن .

وأما لطفى السيد : فانه وقف فى ميدان الاصلاح الخلقى واعانته ثقافته وميوله الفلسفية على القيام بذلك ، فاستطاع تنقية العقل المصرى

من كثير من رواسب الاحتلال ومنها الذل والخنــوع ، وعادة البطالة والخوف من الخواجة لأنه خواجه !

ثم لم يقف عند ذلك الحد بل عنى بانماء الشخصية المصرية والكشف عن مواهبهــا ، وطبق ذلك على الأدب والفن فطالب بأن يكون لنا أدب مصرى له طابعه الذى يميزه عن الأدب العربى ، كما طالب بمثل ذلك فى الفنون وهكذا .

والحق لقد صدر لطفى فى كل ذلك عن فلسفة لها أسس ثلاثة :

الأول : الدعوة للقومية المصرية لتحل محل القومية الاسلامية .

الثانى : الدعوة الى مذهب الحريين أو مذهب التحرير وتطبيق هــذه المذاهب على كل مرفق من مرافق الحياة المصرية .

الثالث : الدعوة الى مذهب التعقيل والترشيد فى كل ما يتصل بالاصلاح المنشود سواء كان ذلك فى ميدان السياسة أو الفكر أو المجتمع .

ولا مجال هنا لشرح الأسس الثلاثة المتقدمة .

بذلك كانت للصحافة المصرية نهضة كبرى شاركت بها فى الحركة الوطنية ، بل قادت بها تلك الحركة ولفتت هذه أنظار المؤرخين الأوروبيين والعرب على السواء فاطلقوا عليها اسم (الطور الصحافى من اطوار الحركة الوطنية) .

سيداتى وسادتى : ـــ

ذلك هو الرجل الذى نحتفل بذكراه اليوم . وهو الرجل الذى زاده الله بسطة فى الجسم فقد فرع الناس كلهم كأنه علا دابة ، وزاده الله بسطة فى العلم فقد جمع ما لم يجتمع لغيره من ألوان المعرفة والثقافة ، كما زاده الله بسطة فى العمر فعاش حتى رأى بعينه مصر ـــ وطنه الحبيب ـــ وقد نال حريته واستقلاله ، وأصبح حكامه من صميم أبنــائه وذلك للمرة الأولى فى تاريخ هذه البلاد منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة .

رحم الله الفقيد العظيم

وعوضنا الله خيرا عن فقده الأليم وبارك الله فيكم ، يا أهل محافظــة الدقهلية حين كنتم من الوفاء لأبنكم البار حيث أقمتم له هذا المهرجان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لطفى السيد والدين

كلمة الأستاذ احمد الشرباصى

قد يكون عجيبا أن يبحث مثلى عن جانب الدين فى حياة لطفى السيد فقد عشت ردحا من عمرى وأنا أحسبه رقيق الصلة بهذا الجانب ، وأطوى جوانحى على عاطفة الكراهية له والنفور منه ، اذ كان يبدو لى من بعيد رجلا استبدت برغبته وهمته بحوث الفلسفة والسياسة وأوضاع المدنية ؛ فباعدت بينه وبين ايفاء القيم الدينية حقها من الرعاية والعناية .

ومضت الأيام تباعا حتى أشرفت بى على أبواب التخرج فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف — على أيامها أطيب تحية وأزكى سلام — ورأيت حينئذ فى ربيع سنة ١٩٤٥ الشيخ المراغى وهو فى مشيخة الجامع العتيق يختار لطفى السيد ليكون رئيس لجنة المناقشة لرسائل الأستاذية المعادلة للدكتوراه فى الأزهر ، وناقش لطفى مع زملائه ست رسائل ، وخطب فى آخر الجلسات قائلا انه ليس بغريب عن الأزهر ، وان صلته به لم تنقطع خلال خمسين عاما منذ كان طالبا فى مدرسة الحقوق ، وشهدت هذه الجلسات ، وكادت كلمات لطفى تغير فكرتى عنه ، ولكنى قلت لنفسى ، أو لعلها هى التى قالت لى : أن الموقف لايعدو أن يكون تكريما من الشيخ لصديقه الكبير ، ومجاملة من الصديق للذين استقبلوه واستمعوا اليه .

وقرأت بعد ذلك كلمة لكاتب الاسلام مصطفى صادق الرافعى يصف فيها لطفى السيد بأنه « الكاتب العظيم » ، وينوه بترجمته لكتاب « الاخلاق » الذى ألفه أرسطو ، ويقول عنه انه « من غايات العقول ، لأن فيه عقل أرسطو » ، فاهتزت فكرتى السابقة عن الرجل ، وهمت فكرة أخرى أن تخلفها ، ولكنى قرأت بعد قليل كلمة للرافعى يصف فيها لطفى السيد بأنه « فيلسوف سوفسطائى » فعادت فكرتى الى مجراها القديم .

ثم قلت لنفسى : لماذا لا تحاول أن تكون كالقاضى المنصف ، يبحث ويفحص ويستشهد ثم يحكم ؟ . فليكن للطفى السيد طابعه السياسى أو الفلسفى أو التحررى ، ولكن أيمنعه ذلك أن يكون للدين فى حياته أو

فكرته جانب أو نصيب ؟ . لقد كتب مؤلفا أو مترجما فى السياسة ، ولكنه أيضا كتب مترجما أو مؤلفا فى الأخلاق ، والأخلاق عصب الدين حتى قال فيها سيد المرسلين : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ولقد كان يردد الدعوة الى الحرية والديمقراطية والوطنية والاستقلال والتربية والتعليم . أليست هذه كلها دعائم قام عليها دين الله عز وجل ، ودعا اليها وذكر بها ليحقق كرامة الجنس البشرى الذى قال فيه القرآن المجيد : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

واذا كنا قد رأينا من واجبنا منذ أمد غير قصير أن نقول ونردد : يجب أن يكون الدين للحياة ، ويلزم أن تكون مبادئه ايجابية التأثير فى المجتمع فحق الانصاف يقتضينا أن نقرر أن رجلنا الذى أصبح فى ذمة التاريخ قد سبق بالدعوة الى مثل هذا منذ أكثر من نصف قرن ، وليست الصيحة المتأخرة أو المتكررة كالصيحة التى سبقت فرادت على الطريق الجديد .

* * *

ثم ماذا يصدنا عما كتب الرجل نطالعه ونتأمله ، لعل فيه شواهد تؤكد وجود الجانب الدينى فى جنانه وبيانه ؟ فهذا كتاب يضم مجموعة من كلماته تحت عنوان « صفحات مطوية » . وهذه الكلمات قد كتبت ونشرت بين ربيع سنة ١٩٠٧ وربيع سنة ١٩٠٩ ثم جمعت وطبعت سنة ١٩٤٦ ، فلنستنبىء هذه الكلمات :

هذا هو الكاتب يشعرنا بأن للتدين فى نفسه ركنا ، حين يقول : « ما عز كاتب اتكل على غير الله ، ولا أثمرت نصيحة أريد بها الظهور الشخصى ، أو خدمة غير الحق ، فلكل عمل من نية عامله نصيب ، وانما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى » ص ١٦٩ . وهذا هو يسبق الى صيحة ما زال أهل الغيرة والتدين يرونها صيحة حق ودعوة صدق ، وهذه الصيحة هى مناداته بوجوب قيام التعليم على أساس دينى ، وبوجوب تعليم الدين فى المدارس ، ويقول عن الفتاة العصرية التى يلومها الناس لسوء

خلقها : « انها تعلمت على غير قاعدة من آداب دينها » . ويقول « لك ان تلوم نظـام التعليم الذى لا قاعدة له من الدين ولا من علم الأخـلاق » ويقول : « يجب أن يكون الدين من هذه الوجهة الاخلاقية هو قاعـدة التعليـم العـام » . ويقرر أن الوضع الطبيعى فى مجتمعنا هو أن ينهض التعليم على قاعدة دينية كما كان فى الماضى فيقول : « من يرجع الى تاريخ التعليم فى بلدنا يجد انه كان قبل القرن التاسع عشر موافقا لحالة أهل البلاد جاريا على قاعدة دينية ، ولكنه كان منحصرا فى دائرة ضيقة ، لاتنفذ أشعتها فى الحجب التى تحيط بها ، ونعنى بهـذه الدائرة أسوار الجامع الأزهر » . ص ١١٨ و ١١٩ .

* * *

وكان لطفى السيد كما أشرت يكثر التفاته الى الجوانب الاجتماعية فى الدين ، لأن هذه الجوانب هى التى تقترب أو تتصل بالأمور الاصلاحية التى يدعو اليها فى مجتمعه وبين قومه ، ولذلك نجده يقول : « ان للدين الاسلامى نظاما اجتماعيا واسعا يعرف من اطلع عليه مقدار التسامح الذى أودعه » ص ١٠٦ . وحينما أشاد بالدين الاسلامى كان يضع نصب عينيه ما ضمه هذا الدين من مبادىء التعاون والعدل والاحسان والحـرية والوحدة ، ولذلك نجده يقول :

« الدين الاسلامى يأمر بالتعاون والتعاضد والائتلاف بين أفراد الأمة كمـا يأمر بالعدل والاحسان ، ويوصى خيرا بالمخالفين له من أهل الأديان الأخرى على الصور المستفيضة فى الفقه ، وليس من مبادئه مطلقا التعصب الشائن الذى يعبر عنه الافرنج (بالفاناتيسم) .

أهل الدين الواحد يوجد بينهم بحكم وحدة الاعتقاد حب ومعاونة تختلف وجوه استعمالها باختلاف الصور العديدة التى تصورها لهم أفهامهم فى الدين . وان هذه الجاذبية الدينية تماثل الجاذبية التى تولدها وحـدة العنصر أو وحدة اللغة . ونظن أن الأوربيين لم يقصدوا يوما (بالفاناتيسم) هذه الجاذبية بوجه ما ، ولكنهم يقصدون بالتعصب الدينى معنى عدائيا هو التحرش بغير المسلمين وحضارتهم ، والتربص بهم فلا يبقون عليهم .

وهذا المعنى لا أصل له فى الدين ، كما لا أصل له فى نفوس المسلمين الذى كل جنايتهم أمام أوربا أنهم أخذوا يفكرون فى أن ترقى عقولهم بالتعليم ، ونفوسهم بالحرية ، وأن يدفعوا بجميع الطرق السلمية كل مبدأ أو قوة تعمل على الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون من الرقى العقلى ليسابقوا غيرهم فى الحياة المدنية » ص ١٠٢ .

وكان هذا الكلام بمناسبة التقرير الذى كتبه حينئذ اللورد كرومر عن مصر والمصريين ، وادعى فيه أن المصريين المسلمين متعصبون تعصبا دينيا ضد غير المسلمين ، من الأجانب وغير الأجانب ، ورب ضارة نافعة كما يقول السابقون ، فان هذا التقرير قد أثار ثائرة لطفى السيد ، وكانت العلة المباشرة فى ثورته علة سياسية ، ولكنها حققت ثمرة دينية ، فقد ذهب لطفى السيد يبدىء فى القول ويعيده عن سماحة الاسلام وعدالة المسلمين ولذلك نراه بعد النص السابق بسطور معدودة يقول : « ولم يسمع من زمان بعيد أن المسلمين الذين قد أمرهم الدين بحسن المعاملة هاج هائجهم على اخوانهم ، أو ظهروا يوما بما يقتضيه وجود التعصب الدينى فى النفوس من الحقد الذى يقدح زنده الاشتراك فى المصالح » .

بل كان من ثمرات هذه الضارة النافعة — أعنى اتهام اللورد كرومر للمصريين فى كتابه (مصر الحديثة) بالتعصب — أن شمر لطفى السيد عن ساعد الجد ، وأعلن أنه سيؤلف كتابا فى الرد عليه يسميه « الانكليز فى مصر » وكتب فى « الجريدة » سنة ١٩٠٨ مقالا بهذا العنوان ، افتتحه بقوله : « هذا عنوان الكتاب الذى نحاول وضعه لبيان خطأ لورد كرومر فى كتاب (مصر الحديثة) وبيان سياسة الاحتلال فى مصر والسودان ، وهو الذى وعدنا بترجمته الى الانكليزية ، وتوزيعه فى أوربا ، وهو ينقسم الى ثلاثة أقسام : القسم الأول فى الاسلام ، ويشمل الكلام على مثار الخطأ فى فهم الدين الاسلامى عند الأوربيين الحسنى النية ، وبيان مقاصد غلادستون واللورد كرومر من الطعن عليه ، والكلام على الديمقراطية الاسلامية ، وأنها تفضل بنظامها كل ديمقراطية أخرى من الوجهة الاجتماعية والسياسية ، والكلام على المرأة والرق فى الاسلام ، وما ظنه اللورد مغمزا وليس بمغمز ... الخ » ص ١٠٦ .

ثم يعود ليقول : « نرى أن طعن اللورد كرومر على النظام الأجتماعى فى الاسلام فرصة ثمينة نذكر فيها طرفا من الديمقراطية الاسلامية ، وهل هى خير من ديمقراطية أرسطو ، وخير من ديمقراطية روسو ، وأنها خلت من العيوب التى تلحق بتينك الديمقراطيتين » ص ١١٢ .

* * *

ومن ملامح الجانب الدينى فى حياة لطفى السيد أنه كان يستعين بالحكم الفقهى ، أو المبدأ الدينى على مؤازرة فكرته السياسية ، أو تأييد اتجاهه الوطنى ، فهو يلقى مثلا فى سنة ١٩٠٨ م خطبة فى نادى حزب الأمة بالقاهرة عن الحالة الحاضرة حينذاك ، ويدعو فيها الى الايمان بسلطة الأمة ، لأن هذا الايمان كما يعبر « فرض عين » ، ولان هذا الاعتقاد « أمر معروف هدى اليه الشرع الشريف » ص ١٩ .

وأكاد أفهم أن لطفى السيد كان مستجيبا للناحية الدينية الموجودة فى طواياه حين أبدى اعجابه بكلمة قالها السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ ، وهى : « ان الرقابة على البلاد هى لله ، ثم للامة » ص ٤٥ .

ولا يعنينا هنا مبلغ تقيد السلطان بهذا المبدأ فيما بعد ، وانما يعنينا أن اعجاب لطفى السيد بالكلمة يدل على تنبهه الى أثر الجانب الدينى فى الحياة والأحياء .

* * *

ولعل مما أشاع سوء الظن بلطفى السيد فيما يتعلق بموقفه من الدين أنه كان يحمل على الجمود الدينى ، ويراه أمرا ضارا بالشريعة من جهة وبالخاضعين لها والمؤمنين بها من جهة أخرى ، ولذلك يبدى اشفاقه على احدى الصحف التى تريد « أن تقضى على عادة من العادات التى التصقت بالدين وليست منه ، ولكنها تخشى أن تثير على نفسها ثائرة بعض الفقهاء » ص ١٢ . وهو لم يذكر لنا تلك العادة التى أشار اليها لنعرف : أهى من الدين أم ملصقة به ، ولكن عبارته على كل حال تشعر بأنه عدو للجمود . محب للايجابية

وكان لطفى السيد يحارب السلبية التى يحاول بعض الأدعياء المنتسبين الى الدين أن يلصقوها به ، ولذلك كان يضيق بالاقتصار على الدعاء السلبى الذى يدل على انعزالية وانطوائية ، ونراه يهاجم أولئك الذين كانوا يكتفون بقولهم عن حال بلادهم السيئة : « ربنا يولى من يصلح » ص ١٢ .

وكان يحارب الخرافات والعادات التى لا تدل على فهم صحيح للدين الذى جاء ليبعث فى أتباعه القوة والعزيمة والعمل واتخاذ الأسباب ، ومن أمثلة هذه المحاربة أنه ذكر لنا حادثتين الأولى منهما ما يروى أن بعض أهل بخارى لما دهمهم الروس طلب اليهم أميرهم والعقلاء فيهم بأن يعدوا لأعدائهم كل ما استطاعوا من عدة وسلاح ، ليحموا بذلك وطنهم العزيز ، فكان جوابهم أن قالوا : كيف نغلب على أمرنا ونحن نروى الأحاديث الشريفة صباح مساء ؟ .

ووصفوا الأمير ومن على رأيه بأنهم قد ضعف ايمانهم وتدينهم ، وتهاونوا حتى بلغ الأعداء حدود بلادهم ، فذهبوا الى المساجد يرددون فيها الأحاديث النبوية ، ويوجهون أنفاسهم عند تلاوتها جهة العدو اعتقادا منهم أن أنفاسهم ستكون أقوى من نار المدافع فى اهلاك أعدائهم ، والذى حدث أن أنفاسهم هذه لم تغن عنهم شيئا ، بل أخمدتها بنادق الروس ، وضلوا بعملهم هذا عن هدى الدين ضلالا بعيدا (ص ١١٣) .

* * *

وننتقل الى كتاب آخر للطفى السيد عنوانه « المنتخبات » نشرته مجلة المقتطف سنة ١٩٤٥ فنجد فيه من هذا القبيل قصة ثانية ، يروى فيها أنه زار « كتابا » فى احدى القرى المصرية ، فوجد عدد التلاميذ فيه قليلا جدا ، وكان الموسم موسم جمع دودة القطن ، فقال لطفى السيد للعريف : أظن السبب فى قلة التلاميذ هو تنقية الدودة ؟ فقال العريف محتدا : « كلا ، ليس فى بلدنا دودة ، فاننى قد أذنت الأذان الشرعى على أركان البلد الأربعة ، فذهبت الدودة باذن الله تعالى » ! ... ووصف لطفى هذا الرجل بأنه قد افترى على الله وعلى الناس (ص ٧) .

ومما يحدثنا عنه هذا الكتاب أن لطفى السيد كان منذ أوائل القرن العشرين يحارب العادات السيئة التى تصحب الزواج ، وتنسب الى الدين والدين منها براء ، وطالب بالقضاء عليها لأنها ضارة وتخالف الشريعة ، ودعا على سبيل المثال أن يرى الخاطب مخطوبته قبل العقد عليها ، وأن توافق الفتاة على الزواج ، واستند فى هذا الى أحكام الشريعة السمحة .

وكان لطفى السيد يدافع عن الاسلام ، ويقف للأجانب عنه الطاعنين عليه بالمرصاد ، وهو فى كتابه « صفحات مطوية » يحدثنا أنه التقى فى جنيف سنة ١٨٩٧ برجل فرنسى يدعى العلم بالاسلام وهو من أجهل الناس به ، ولذلك يفترى ويقول ان من قواعد الاسلام هذه القاعدة : « كل مسلم قابل غير مسلم فله حق قتله وله سلبه » فضحك لطفى السيد من ذلك الافتراء ، وأنكره على صاحبه ، وأخذ يقيم الأدلة على أن الدين الاسلامى ليس دين الغدر أو الخيانة ، ولكنه دين الاخاء والمساواة ، دين النجدة والمروءة .

وقد ضاق لطفى السيد ضيقا شديدا بأولئك الأوربيين الذين يتهجمون على الاسلام بأقوالهم وافتراءاتهم ، دون أن يتثبتوا من معلومات أو يعتمدوا على حقائق ، ولذلك نراه تارة يقول : « يندر جدا من الأوربيين من علم باللغة العربية علما كاملا يؤهله لفهم الأحكام من مصدرها الأصلى وهو القرآن والحديث بل هم يأخذون هذه الأحكام مما ينقله المؤرخون عن أحوال الأمم الاسلامية ، ومن بعض الأوربيين الذين ساحوا فى الشرق ، وكتبوا عن الاسلام والدول الاسلامية قواعد تلقفوها من بعض المسلمين الذين لا يعرفون دقائق شريعتهم حق العلم ، وظنوها حقائق دينية ثابتة ، وليست من الحق فى شىء » . ص ١٠٩ .

وتارة يقول : « ان المسلم لا يسعه الا أن يبتسم اشفاقا على المؤلفين الأوربيين الحسنى النية الذين يرمون الاسلام بما يرمون ، لأن علمهم به كما قلت ليس الا نتفا يتلقونها من أفواه الجهلة ، أو من كتب السائحين الذين يتخذون عمل فرد من المسلمين دليلا على دينهم » ص ١١٠ .

* * *

ولطفى السيد يقرر فى كتاباته حقائق اسلامية لها قيمتها وأهميتها ولها تأثيرها كذلك فى الأوضاع السياسية التى تتعرض لها بلاده ، فهو مثلا ينكر على الذين يؤيدون الحاكم بالحق وبالباطل ، ويحاولون احاطته بهالة من التقديس كأنه معصوم ، ويقول عن هذا أنه « مذهب جديد فى الاسلام ، يقلن به (المؤيد) أنه يرضى سمو الأمير ، ولو أغضب ذلك العقل والدين والطبائع والناس أجمعين » . ويقول على سبيل التعريض : « هل يليق بورثة ابن عباس ، وأبى حنيفة الذى حبس ليتولى القضاء فأبى ، أن يأبوا على أنفسهم وعلى الناس الاجتهاد بالرأى فى عمل الأمير وبطانته رغبة أو رهبة » ؟ . ثم يوجه النصح الى أمير البلاد حينئذ ، ويدله على خطة الشريعة فى ذلك ، وهى أن يخضع للنقد ، وأن يرجع الى الحق ، وألا يضيق بالنصيحة ، فيقول : « ان أميرا شريفا مسلما كأميرنا ــ حفظه الله ــ يدين بكثير من عرشه الى الاسلام وخلافة المسلمين ، لجدير بأن يقول كما قال عمر : (من رأى منكم اعواجا فليقومه) ، ويغتبط بأن يبيح لكل مصرى القول بالحق ورفع النصيحة بالاخلاص » ص ١٨٢ .

* * *

ولكن ينبغى أن نقرر فى صراحة أن لطفى السيد كان لا يؤمن بالجامعة الاسلامية ، ولا يرى امكان تحقيق الوحدة الاسلامية ، وقد صرح بهذا أكثر من مرة ، ولمح به أكثر من مرة كذلك ، فهو تارة يقرر أن « الجامعة الاسلامية » ــ Pan-Islamism ــ دعوى روج لها المستعمرون ، ونادى بوجودها نفر من صنائعهم من المصريين ، ليكون ذلك طريقهم الى اتهام المصريين بالعصبية الدينية ، ويحسن بنا أن نصبر على التأمل فى هذا النص الطويل نوعا والذى ذكره لطفى السيد نحو عنوان جزئى هو « الجامعة الاسلامية » وقال فيه :

« ان فكرة الوحدة الاسلامية قد تجول أحيانا بخواطر بعض الناس الذين لايزالون بعيدين عن الاشتغال بالسياسة والنظر فى الأمور العامة بشىء من التدقيق ، ولكن تلك الفكرة لم تخرج عن حيز الخواطر ، تظهر وتخفى تبعا للحوادث ، فكلما رأى المصريون اتفاق رجال السياسة الأوربية

على شيء يضر بمصلحة مصر ، أو يبعد ميعاد استقلالها ، أو يفيد استمرار الاحتلال الى الابد ، قارنوا بين مصر وبين غيرها من ولايات البلقان التى استقلت ، واستنتجوا من ذلك أن ذنب مصر أنها أمة اسلامية ، وأن أوربا لا تساعد فى الشرق الا الأمم المسيحية ، فتمنى بعضهم أن لو كان للمسلمين وحدة كما للمسيحيين فى أوربا هذه الوحدة التى يتخيلون وجودها ، وأنها كانت الحامل لأوربا على التداخل فى أمر ولايات البلقان وأرمنيته .

تقول ذلك ونحن لا نعرف أنه يوجد فى اللغة كلمة جامعة مسيحية (بانيكريستيانسم) كما خلقت كلمة جامعة اسلامية (بانيسلامسم) . على أن عقلاء المصريين لا يرون لكلتيهما وجودا فى العالم ، ولكن السياسة تخلق ما تشاء ، فليس لأوربا أن تتوجس خيفة من فكرة ساذجة كهذه ، بعيدة عن أن تؤدى الى اعتداء من جهة المصريين ، ولا أن تسبب قلق المستعمرين من الاوربيين بل يرى هؤلاء العقلاء أن الذى خلق هذا الخاطر الساذج هو مظاهر السياسة الأوربية فى الشرق .

أما كون الجامعة الاسلامية موجودة وجودا حقيقيا ، أو أنها مقصد من المقاصد التى يسعى المسلمون لتحقيقها ، فهذا لا دليل عليه مطلقا ، كما أنه لو حوول ايجادها لاستحال ذلك بالمرة على طلابه .

علمنا التاريخ وطبائع البشر أنه لا شيء يجمع بين الناس الا المنافع ، فاذا تناقضت المنافع بين قلبين استحال عليهما أن يجتمعا لمجرد قرابة فى الجنسية أو وحدة فى الدين ، وان أبلغ مثال على ذلك هو انشقاق المسلمين على أنفسهم فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب مما هو مشهور ومأثور » ص ٩٩ .

وهذا كلام خطير يحتاج الى المراجعة فى أكثر من نقطة ، ولكن ليس هذا مجال التفصيل فى الموضوع ، وانما قد يهمنا أن ننص على أن الكاتب يتناقض فى هذا المجال ، فبينما نراه فى مكان يقول : « أهل الدين الواحد يوجد بينهم — بحكم وحدة الاعتقاد — حب ومعاونة تختلف وجوه استعمالها باختلاف الصور العديدة التى تصورها لهم أفهامهم فى الدين ، وإن هذه الجاذبية الدينية تماثل الجاذبية التي تولدها وحدة العنصر أو

وحدة اللغة » نراه كما سبق يذهب الى « انه لا شيء يجمع بين النـــاس الا المنافع » وأنه اذا اختلفت المنافع لم تجمعهم وحدة الدين ، ثم نراه فى موقفه ذلك مترددا ، كأنه يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، فيقول :

« لا شك فى أن وحدة الاعتقاد سبب من أسباب المشابهات بين الأفراد وعامل من عوامل التضامن ، ولكنى أنكر أشد الانكار أنها تصلح لأن تكون فى القرن العشرين قاعدة للاعمال السياسية التى يجب أن تبنى على المنافع ، لا على المعتقدات ، والا لكان الانكليز والالمان أمة واحدة ، ولكان الفرس والافغان والترك أمة واحدة ، على ما بين كل أمة من الأمم والأخرى من الثارات والخلاف التى أصله الوطنية والمنفعة .

على المنفعة تكونت الأمم فانقسمت الأوطان ، فهل من يقول لى أن هناك قبطيا يفضل منفعة الحبشة على منفعة مصر ، أى على منفعته هو ؟ وهل يقول بأن هناك مسلما مصريا يفضل منفعة تركيا على منفعة مصر ، أى على منفعته هو ؟ . نزلت الأديان لمنفعة الناس ، فلا يحل لنا أن نجعلها تناقض تلك المنفعة ، بل يجب علينا أن نوفق بينها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وانا اذا أردنا لمستطيعون » ص ٣٤ .

وبسبب هذا الموقف الذى وقفه لطفى السيد من فكرة « الجامعـــة الاسلامية » كان يلح فى نفى معنى التعصب الدينى عنه وعن حزبه وعن قومه من المسلمين ، فهو مثلا يتحدث عن « حزب الأمة » الذى كان هـــو أحد رجاله ، وعن موقف اليائسين منه ، أو المخالفين له ، ويقول : « أكثر هؤلاء اليائسين بعـــدا عن الحق أولئك الذين يقولون ان هذه الحركة الجديدة هى مظهر من مظاهر التعصب الدينى » ويذكر أن هؤلاء اتهموا « حزب الأمة » بأنه يسعى لتحقيق الجامعة الاسلامية ، ويقرر أنه ليس لذلك كله نصيب من الصحة ! .

ولقد ألقى خطبة سياسية فى مدينة الاسكندرية سنة ١٩٠٨ ، وتحدث فيها عن الوحدة الوطنيـــة ومحاربة العصبية الدينية ، وقال فيما قال : « الذين يدخلون بألسنتهم وأقلامهم فى تنبيه الأعصاب الدينية من جسم الأقباط أو من جسم المسلمين ، مهما حسنت نيتهم ، ومهما شرف غرضهم ،

فانهم لا يجنون من وراء الحركة التى يقيمونها الا هدم التضامن بين أفراد الأمة ، وتوسيع مسافة الخلف بين الأخوين » ص ٣٣ .

* * *

ومن المواقف التى أعجبتنى من لطفى السيد أنه يقول انه اذا كان التعليم ضروريا فا نالأخلاق عماد الأمم ، لأن قوة الأمم انما هى فى أخلاقها ، وانه يجب علينا اصلاح الشعور كما يجب علينا تثقيف العقل ، وأن نعنى بالتربية كما نعنى بالتعليم .

هذا هو فى كتابه « المنتخبات » الذى نشرته مجلة المقتطف سنة ١٩٤٥ هدية سنوية منها لقرائها يقول من مقال له نشر فى سبتمبر ١٩١٢ : «لاجدال فى ان العلم ضرورى لتقدمنا ، بل ضرورى لحياتنا الحاضرة ، وانه هو السلاح الوحيد الصالح للانتصار فى معترك الحياة للفرد ، والعامل الوحيد للاكتشافات والاختراعات العجيبة ، وقوام هذه المدنية الحديثة المدهشة ، ولكن التاريخ والتجربة يشهدان أيضا بان قوة الأمم انما هى فى أخلاقها ، كما قال شاعرنا شوقى :

فانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كذلك قال الدكتور جوستاف لوبون : (ان الرومانيين فى زمن انحطاطهم كانوا أشد ذكاء من أجدادهم الأشداء ، ولكن فقدوا الخواص الاخلاقية كالصبر والعزيمة والشباب والاستعداد لتضحية النفس فى سبيل الغاية ، والاحتفاظ باحترام القوانين ، تلك الخواص الاخلاقية كانت هى سر عظمة آبائهم الأولين . بالخلق يحكم سنون ألف انكليزى مائتين وخمسين مليونا من الهنود يساوونهم على الأقل فى ذكاء العقل ، وبالخلق صار الانكليز على أكبر مملكة استعمارية يعرفها التاريخ . على الخلق لا على العقل تؤسس الجمعيات والديانات والممالك ، ولم تكسب الأمم كثيرا من ارادة التعقل والتفكير أكثر من الحد المطلوب .

كما يجب علينا تثقيف العقل يجب علينا اصلاح الشعور ، أى كما نعني بالتعليم يجب أن نعني أيضا بالتربية ، وإن عنايتنا الأبوية ، وبرامجنا

المدرسية تكاد تكون خالية مما يربى الشعور بجانب العقل ، الا ما كان من بعض القواعد الدينية البسيطة التى تلقن تلقينا .

نلفت ولاة أمر النشء أن لا يكون كل همهم فى التربيــة المنزلية ملاحظة عقــول أبنــائهم دون قلوبهم ، والاغتبــاط بمعلوماتهم دون معتقداتهم وميولهم ، وما يطبع أعمالهم من طابع الخير أو طابع الشر ، وان يكافئوا أولادهم على حب الخير كما يكافئونهم على حب العلم ، ويجزونهم حسنة على حب الاستقلال الذاتى وقوة الارادة ، واظهــار التضامن فى العائلة وفى الوطن ، وعاطفة الاحترام ، ولزوم القصد ، والصدق ، كمــا يجزونهم حسنة على التفوق فى الامتحان وفى العلوم المدرسية .

كذلك نلفت ولاة التربية والتعليم الى التفكير فى أن يجعلوا للتربية محلا بجانب التعليم ، ولتقويم الشعور حظا بجانب تثقيف العقول ، فان الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى والسياسى يتوقف كثيره على طريقة التربية والتعليم » ص ٩ .

وهذا كلام جليل حين قيل وجليل فى كل جيل ، ويزداد جلاله بصدوره من رجل قانون وفلسفة وسياسة ، لا من رجل دين وفقه وشريعة ، وكأنه حكم من قاض ذى عقل وثقافة ، فيخضع لحكمه كل من كان ذا عقــل وثقافة .

ويعود لطفى السيد الى الحديث عن مكانة الأخلاق فى حقل التربية ، فيرى أن عماد التربية هو الأخلاق والايمــان بالله ، وأن دين الله الحق تكسف شمسه كل نجم مصطنع يحاول أن يقف الى جانبها ، وأن التعليم فى الأمة يلزم أن يكون متلائما مع معتقداتها وعاداتها وأخلاقها ، فيقول فى كتابه « المنتخبات » هذه العبارة :

« ليس من عملنا أن نتكلم بالتطويل عما يقال فى الأصول والنتائج للتربية اللاهوتية ، أو التربية العقلية ، أو النظرية ، أو التربية العلميــة (الوضعية) ، ولكن يهمنا الاشارة الى أن أهم أصل ترجع اليه التربية فى كل منهما ، هو علم الأخلاق ، ففى النوعين الأولين لابد من أن يرتكز علم

الاخلاق على أصلين ثابتين : الاعتقاد بالله وبأبدية الروح . أما القلة فانها تحاول عبثا أن تضع موضع دين الله دينا آخر قد يسمونه دين الانسانية ولذلك كانت مذاهب هذه التربية الثالثة مستحيلة التطبيق بوجه عام ، ما دامت المشاهدة (التى هى طريق العلم عندهم) نفسها تدل على أن الاعتقادات الدينية من الفطرة التى فطر الله عباده عليها . أما فيما عدا هذه الجهة فان القواعد العملية التى وضعت لتنفيذ التربية العلمية فى البيت وفى المدرسة ، قد تكون أولى من سواها بالاتباع ، وقد تكون هى طرائق المستقبل .

مع الاعتبارات التى ذكرناها يجب ألا ننسى أن لكل أمة استعدادا خاصا بنوع خاص من أنواع التربية تبعا للمسافة التى قطعتها فى التطور والعادات والأخلاق التى تصبغ بصبغتها المبادىء الجديدة التى تدخل عليها » . ص ٢٥ .

ولقد سبق لطفى السيد فى عصره الى وجوب اجتماع التربية مع التعليم ، لأن التعليم وظيفته حشو الذهن بالمعارف المختلفة ، ولكن التربية تقويم وتهذيب وتأديب ، ولقد كان لطفى السيد ينادى بوجوب هذا الاجتماع سنة ١٩١٤ ويبدو أن هذا الاجتماع احتاج فى تحققه من الوجهة الرسمية الى مرور نصف قرن من الزمان ، حيث صار اسم « وزارة المعارف » هو « وزارة التربية والتعليم » !..

وفى وجوب هذا الاجتماع بين التربية والتعليم نجده يقول : « مهما قيل بحق فى المغايرة بين التربية وبين التعليم فيما يتعلق بموضوعيهما ، وأثر كل منهما ، فانه من غير الممكن فصل التربية من التعليم فى العمل . من الصعب جدا فصل المعانى التى تهذب النفس عن المعانى التى تثقف العقل ، وكما أن العقل الانسانى يستفيد من أصول علم الأخلاق ومن قواعد السلوك ، كذلك تستفيد الملكات النفسية من تعلم العلم ومعرفة الروابط التى تربط المعلومات الانسانية بعضها ببعض . لذلك كان من الواجب أن يعنى بالتربية مع التعليم فى كل معهد من معاهد التعليم ، أى

من التعليم الأولى الى التعليم العالى ، والا تعطل شطر الغرض المقصود من التربية والتعليم » ص ٢٩ .

ويتطلع الرجل الراغب فى الاصلاح ، الداعى الى قيام التعليم على أساس دينى ، المنادى بأن تكون الأخلاق عماد التعليم ، وأن تكون التربية مع التعليم ... يتطلع الى المدارس فى مجتمعه فاذا هى لا تهيىء أبناءها لمعرفة الخير والتمسك به ، أو التنبه للشر والحذر منه ، ويرى أن علاج ذلك هو أن يكون الدين مادة أساسية فى التعليم ، فيقول :

« ان التعليم الأولى والابتدائى بعيد كل منهما أن تلقى فيه الأصول التى دلت التجارب على أنها تقرب المرء من الخير ، وتبعده عن الشر ، وتجعل له فكرة خاصة فى الوجود الانسانى ، وغيرة أكيدة على الاحتفاظ بالحقوق والقيام بالواجبات . الى ذلك يكفى فى هذين النوعين من التعليم حسن انتفاء الأساتذة المهذبين — لأن فاقد الشىء لا يعطيه — وأن يكون لكل أستاذ فرقة من التلاميذ يعلمها كل شىء فى البرنامج : الحساب والخط والقراءة وقواعد الاسلام » ص ٣١ .

* * *

وللطفى السيد بالأزهر الشريف صلة وعلاقة ، واذا تحدثنا عن الأزهر الشريف هنا فنحن لم نبعد قليلا ولا كثيرا عن حديث الدين ، لأن الأزهر الشريف هو معقل الشريعة وقاعدة الاسلام ، ولقد سبق لنا أن عرفنا أن لطفى السيد يقرر أن صلته بالأزهر الشريف لم تنقطع خلال خمسين عاما منذ كان طالبا فى مدرسة الحقوق .

وهو يذهب الى أن الأزهر الشريف قد انتقل فى العصر الحديث « ثلاث نقلات » : الأولى فى عهد السيد جمال الدين الأفغانى الذى بذر بذور النهضة فى تربة هذا المعهد الاسلامى الجليل وفى صدور طائفة من أبنائه المتوثبين ، والثانية كانت فى عهد الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذى دفع الأزهر الشريف الى الأمام ، والثالثة فى عهد الشيخ المراغى الذى حرص على اصلاح الأزهر الشريف والنهوض به ، ولاقى فى سبيل ذلك بعض المعوقات والعقبات ، ولسنا ندرى ماذا قال لطفى السيد حين

صدر قانون تطوير الأزهر الأخير ، فقد صدر هذا القانون قبل وفاة لطفى السيد رحمه الله !..

ومما يتصل بحديث لطفى السيد والأزهر الشريف أنه كان يصف الشيخ محمد عبده بقوله : « أستاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده » كما فى ص ١٨٦ من « صفحات مطوية » ، ويعود فيصفه فى ص ٥٢ من كتابه « المنتخبات » بقوله : « أستاذى الامام محمد عبده » ، ويذكر عن الشيخ أنه كان يحتال لارضاء الأزهريين وحملهم على قبول العلوم الحديثة داخل الأزهر الشريف ، فيسمى علم « الطبيعة » مثلا بقوله : « علم خواص الأشياء التى أودعها الله فى الأجسام » .

وكان يدافع عن الشيخ ويؤيد طريقته ، كأن يقول : « وهل يقول لنا الآخرون ما ذنب فقيد الحكمة والبلاد المرحوم الشيخ محمد عبده اذ يطعن عليه فى اخلاصه ووطنيته ، الا حبه منفعة الأمة ، وتحريه طرق الاصلاح ، واتيانها من أبوابها ، واعتقاده أن خدمة البلاد شيء والعبودية للمالك أمر آخر » .

وكذلك يذكر لطفى السيد عن الشيخ محمد عبده أنه كان زميلا له فى الدراسة بالخارج فترة من الزمن . يقول فى كتاب « المنتخبات » هذه العبارة عن الشيخ : « لقد كنت معه فى صيف سنة ١٨٩٧ ، وكنت منتسبا الى جامعة جنيف ، كما كنت مبعوثا سياسيا ، وجاء محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين ، وهذان الأخيران قد أقاما معنا قليلا ، أما الشيخ محمد عبده فحين علم أنى طالب بالجامعة أغشى دروس الفلسفة والآداب الفرنسية ، أحب أن يكون تلميذا معى ، وهو حينئذ قاض فى الاستئناف ومدير للأزهر ، فصار تلميذا بعمامته وقفطانه الذى كان يفتن النساء ، وذات يوم كنا فى درس من دروس أدب اللغة الفرنسية يقوم على قصة لفكتور هوجو ، فطلب منا الأستاذ أن نبدى رأينا فيها وفى كاتبها ، بعد أن أمهلنا فى ذلك أسبوعا ، وفى اليوم المحدد قال كل منا ما فتح الله به عليه من بنين وبنات معا ، فخرجنا ورأيت الشيخ يترقرق الدمع فى عينيه وقال : يا لطفي ، عندكم معلمون ، وليس عندنا معلمون » !.

وبجوار الشيخ محمد عبده كان يوجد من علماء الأزهر الشريف وشيوخه الأكابر رجل آخر يتخذه لطفى السيد أستاذا له ، وهو الشيخ حسونة النواوى الذى نرى صاحبنا يعبر عنه بقوله : « أستاذى الشيخ حسونة النواوى » . ودافع عنه ، كقوله فى « صفحات مطوية » مثلا : « فماذا قال الفريق الأول يوم أقيل فضيلة الأستاذ الشيخ حسونة النواوى من منصبه ؟ وما الذى صنعه ذلك الشيخ الجليل أكثر من قول ما يعتقده الحق حتى أقيل » ؟ ص ١٦٨ .

اذن كان للطفى السيد أساتذة من رجال الدين ، ان فاته أن يجلس بين أيديهم فى قاعات الدرس الدينى ، فقد تلقى عنهم وتأثر بهم فى محيط أوسع من هذه القاعات .

* * *

ومما يتصل بالجانب الدينى فى تراث لطفى السيد العلمى والأدبى تأثره بطريق مباشر أو غير مباشر بالقرآن الكريم ، وقد قلت « بطريق مباشر أو غير مباشر » لأن وضوح الرؤية لهذه النقطة يحتاج الى بحث مستقل ، ويحتاج الى اطلاع على تفاصيل كافية من حياة الرجل ، وطريقته فى المطالعة والكتابة .

وقد لاحظت فى أثناء قراءتى لكتابة الرجل أنه قد تأثر بأسلوب القرآن المجيد وتعبيره ولاح هذا التأثير فيما كان يجنح اليه فى عبارته من تضمين أو اقتباس من القرآن الكريم ، وقد التقطت من كتابة لطفى السيد الشواهد التالية الدالة على تأثره بأسلوب التنزيل الحكيم :

فى كتاب « صفحات مطوية » نجد الشواهد التالية :

١ — فى ص ٨ يقول : « عند ذلك تقطعت بهم الأسباب » وهذا يذكر بقول القرآن فى سورة البقرة : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب » .

٢ — فى ص ٢٦ يقول : « وليهدموا التعليم كما هدموه أول مرة » وهذا يذكر بقول القرآن فى سورة الاسراء : « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

٣ — فى ص ٢٩ يقول : « هيهات هيهات لما يريدون » وهذا يعتمد على قول القرآن فى سورة المؤمنون : « هيهات هيهات لما توعدون » .

٤ — وفى ص ١٠٥ يقول : « وانتبذ القلق بالتعصب الدينى الموهوم مكانا قصيا » وهذا تعبير ينظر الى قول الله تعالى فى سورة مريم : « فحملته فانتبذت به مكانا قصيا » .

٥ — وفى ص ١١٣ يقول : « فما كان جوابهم الا أن قالوا » وهذا مستمد من قول الله تعالى فى صورة النمل : « فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم » .

٦ — وفى ص ١١٨ يقول : « يكاد يتميز من الغيظ » وهذا مأخوذ من قول التنزيل المجيد فى سورة الملك ، « تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير » .

وفى كتاب « المنتخبات » نجد هذه الشواهد :

٧ — فى ص ٣ يقول : « فقد خلت من قبلهم أمم ليسوا أقل منهم خطأ فى الحكم بالظواهر » وهذا يعتمد على قول القرآن فى سورة آل عمران : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

٨ — وفى ص ٤ يقول : « لاهية قلوبهم عن حب الاستقلال خلافا لطبائع الأمم » وهذا ينظر الى قول القرآن فى سورة الأنبياء : « لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا » .

٩ — وفى ص ٤ أيضا يقول : « لا ينبئك عن مطامع الأمم مثل هذه الحركة العامة » وهذا يعتمد على قول الله تعالى فى سورة فاطر : « ولا ينبئك مثل خبير » .

١٠ — وفى ص ٥ يقول : « وما كانت حجة هؤلاء الا أن قالوا ان نتيجة التربية بعيدة » وهذا يذكر بقول القرآن فى سورة الجاثية : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين » .

١١ — وفى ص ١١٥ يقول : « وهم أعرف بمنفعتهم من سواهم ، وهم عليها شهود » وهذا مأخوذ من قول الكتاب الالهى العزيز فى سورة البروج : « وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود » .

١٢ — وفى ص ١١٥ أيضا يقول : « هذا الانقلاب الهائل السريع الذى قام به البطل أنور بك وطائفة من الذين معه » . وهـذا يستمد من قول الله عز وجل فى سورة المزمل : « ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك » .

١٣ — وفى ص ١٢٣ يقول : « ولكنهم فقدوا ايلافها من زمن طويل » وكلمة « ايلاف » هذه لفظة قرآنية يبدو أنهـا انتقلت الى قلم الكاتب من التأثر بقول القرآن فى سورة قريش : « لايلاف قريش ايلافهم » .

١٤ — وفى ص ١٣٦ يقول : « والأمة غالبة على أمرها » وهذا مأخوذ من قول القرآن فى سورة يوسف : « والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

هذه أربعة عشر شاهدا التقطتها من كتابين وراءهما الكثير من كتابات لطفى السيد ، وموضوع تأثره فى تعبيره وأسلوبه بالقرآن المجيد يستحق كما أشرت الى بحث مستقل .

* * *

ومما يتصل بالجانب الدينى فى كتابة لطفى السيد كتابته عن اللغـة العربية ، وقد يعجب بعض الناس من هذا ويقول : وما عـلاقة اللغـة بالدين ؟ . وعندى أنه قد يستقيم توجيه مثل هـذا السؤال المعترض بالنسبة لغير الدين الاسلامى دين القرآن ، لأننى أومن بأن اللغة العربية ذات وشيجة وثيقة بالاسلام ، وذات وليجة عميقة به ، وذلك لأن عمـاد الدين الاسلامى هو القرآن ، والقرآن نزل من عند الله تبـارك وتعـالى كتابا عربيا آية فى الاعجاز ، ومن هنا ربطت يد الخالق القدير بين اللغـة والدين ، ولولا القرآن لبادت اللغة العربية منذ قرون ، وقد اسـتطاع

الامام الشافعى أن يقدر هذه الرابطة بين العربية والاسلام خير تقدير ، فأوجب على المسلم شرعا أن يتعلم العربية .

ولقد عنى لطفى السيد بالحديث عن اللغة العربية ، وعبر عنها فى كتاب « المنتخبات » بأنها « لغة القرآن » ووصفها بأنها واسعة مخصبة ، ولكن قلة الاستعمال لها جنت عليها ، اذ هجرها الناس الى لغة غير معربة ولحن غير مغتفر ، ويقرر أنه لا سبيل لاحيائها وجعلها مألوفة الاستعمال الا أن تصير لغة العلم فى البلاد ، ومن الخير أن أدعه يتحدث بأسلوبه فى هذا فيقول : « لغتنا واسعة فى القاموس ، ضيقة فى الاستعمال ، مخصبة فى المعانى والمسميات القديمة ، مجدبة فى المعانى الجديدة والاصطلاحات العلمية ، فقد انقطع رقيها من قرون طويلة ، فوقفت عند الحد الذى وصلت اليه أيام النهضة العباسية ، فهى الآن — لأننا هجرناها فى المحادثة الى لهجة غير معربة ، ولحن غير مغتفر — صارت تراكيبها غير مصقولة على الألسن ، ولا حية بالاستعمال ، فاذا أقبلت على رجل تخاطبه باللسان العربى الصحيح فى بناء كلماته ، الصحيح فى اعرابه ، ألفيت أنت كلفة فى القول قد تذهب بروائه وتأثيره ، ولقى صاحبك من حديثك ثقلا على سمعه ، وقصورا فى تأثير عباراتك ، أكثر مما لو كان الحديث باللغة العامية ، ممسوخة الألفاظ ، ومنحطة التراكيب ، وملحونة الاعراب ، فكأن القائل والسامع والكاتب والقارىء غرباء عن اللغة وما هم بالغرباء ، ولكنهم فقدوا ايلافها من زمان طويل ، فاستعصت الآن عليهم ، ولا سبيل لاحيائها وجعلها مألوفة الاستعمال الا أن تصير لغة العلم فى البلاد » ص ١٢٣ .

ويقول فى موطن آخر : « اللغة العربية لا تكون لغة العلم الا اذا كانت هى لغة التعليم ، واشتملت على موسوعات العلوم العصرية المختلفة » ص ١٣٩ . وينبغى أ تتذكر أن هذا الكلام قد قاله فى سنة ١٩١٣ م .

وهو يرى أن نطعم اللغة العربية بالأسماء الأجنبية التى لا مقابل لها فى لغتنا ، وذلك عن طريق النقل والتعريب ، وفى هذا يقول : « هذه الأسماء الأعجمية وأمثالها قد دخلت فى لغتنا دخولا تاما ، واستعملت

استعمالاً شائعا ، بحيث لا نستطيع أن نضع لها ولغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة لا يعتد بها أحد ، ولا يستعملها أحد ، الا بعض الكتاب . اننا لو اخترعنا أسماء للمسميات الجديدة لنستعملها فى الكتابة وحدها من غير أن تدخل فى أحاديث العوام ، ولا فى أحاديث الخاصة أنفسهم ، لكنا عاملين بذلك على توسيع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام ، وذلك مؤخر للغة ، مؤخر للبيان والفصاحة ، مؤخر للتقدم من جميع الوجود » ص ١٢٦ .

ويعود ليؤكد هذا فيقول : « فلا بأس على لغتنا من قبول الأسماء الأجنبية للمسميات الأجنبية وادخالها فى اللغة ، تغنى بها وتتطور بتطورها كما حصل ذلك فى عز رقى اللغة .

فى لغتنا أسماء أعجمية كثيرة جدا لم يخل وجودها بالفصاحة ولا البلاغة ، فان بعضها قد وجد فى القرآن وهو المعجز بفصاحته وبلاغته الى الأبد » ص ١٢٨ .

***

أما بعد فقد كان لطفى السيد عقلا كبيرا وفكرا واسعا ، ورجلا توالت خطواته على طريق الكفاح فى مجال السياسة والاجتماع ، وقد توافقه على بعض آرائه ، وقد تخالفه فى بعضها الآخر ، وما من امرىء الا ويؤخذ منه ويرد عليه ، ولكن لا مشاحة فى أنه فتح لنفسه فى التاريخ بابا ، واتخذ الى الخلود أسبابا ، فمغفرة الله له ، ورحمته عليه !.

قصيدة الشاعرة روحية القلليني

إجمعى الأزهار من كلِّ مكانْ فوقَ مَثْوَاهُ ضعيها فى حنانْ
رتلى الايات ليلاً وضُحًى فى خشوعٍ وأشيرى بالبنان
لمكان ضم لطفى خالدًا ذكرهُ باقٍ على مر الزمانْ

سجلى بالنور صفحَاتِ الخلودْ قد حَمى المرأةَ من ذلِّ القيــودْ
أصبحتْ بالعلم نبراسَ هدًى وغدتْ بالعلم هَدْيًا للوليد
حققَتْ حلو الأمانى درةً تَزْدَهى بالمجدِ فى العهدِ الجديدْ

حدِّثيهِمْ عنه – عن أُستاذِ جيلْ وانشدِى صوتًا مع اللحنِ الجميلْ
وتغنى باسم لطفى إنـــــه رائدُ العِلمِ وللفجر الدَّليلْ
واسْكُبى العِطْر على القبر الذى قد طَوى من كان كالظِّلِ الظَّليلْ

حديثهم عنه أَخلاقًا تَسامتْ فوقَ دنيا الناس بالقلبِ الكبيرْ
مجِّدِيهِ مبدءًا يرسو بـــه فوق هام النجم من وحْى الضمير
خالدٌ فى كل قلبٍ خافقٍ لا بتمثالٍ وميدانٍ ودُورْ

كل سطر فى كتابٍ خطَّهُ تسكنُ الحكمةُ فيه والذكاءَ
كل قول قاله فى محفِلٍ هو سحرٌ جاءَ من وحى السماءَ
كان نبعًا دافِقًا فى علمه يَنْشُرُ النورَ مُشِعًا فى سَخَاءَ

كفكفى فى ذكره سَيْلَ الدموعْ		وأَضيئى بالمُنَى كلَّ الشموعْ
لم يمتْ لطفى ، فلطفى خالدٌ		فى ضميرِ الشيخِ والطفلِ الرضيعْ
فى ضميرِ البنتِ نالت حقَّها		فى فؤادِ خافقٍ خلف الضلوعْ
ذكره عِطْرٌ وضوءٌ وزهورْ		وابتسامٌ مشرقٌ فوقَ الثُّغورْ
وفتاةٌ دخَلَتْ جامعـــــةً		وخطتْ للمجدِ بل كادتْ تَطِيرْ
وكتابٌ ضم فى أَعطافِـهِ		فلسفاتٍ لعصور ودهورْ

نشر الحبَّةَ فى الأَرض الخصيبهْ		فغدت زهْرًا واغصانًا رطيبهْ
وتهادتْ فى جلالٍ ، إنها		غرْسُن لطفى – إنها ذكرى حبيبهْ
فهى استاذةُ جيلٍ ووزيره		وهى للمرضى وللجرح طبيبهْ

هذه ذكراه علمٌ وكتابْ		كان فى أُسلوبه الشُّهد المذابْ
وحقوقٌ لم ينم عنها دقيقهْ		ينصف الحق وإن لاقى العذابْ
عالم يبحث عن سر الحقيقهْ		فغدا الخلدُ له أعلى مآبْ

أحمد لطفي السيد الفيلسوف

كلمة الدكتور احمد فؤاد الأهواني

تقاس عظمة المفكر بمقدار تأثيره فى زمانه ، وبمقدار امتداد هذا التأثير فى المقبل من الأجيال . ويرجع هذا التأثير الى ما يخلفه المفكر من كلمة مدونة فى كتاب يبقى على الزمان ، أو كلمة مسموعة تستقر فى قلوب تلاميذه ، ويقومون بتطبيقها ، وتنفيذها ، ويسيرون فى الاتجاه الذى شقه لهم الأستاذ ، وربما كان أثر التوجيه أعظم من أثر الكتاب المطبوع ، لأن المسموع يفسح المجال للتطور والتنمية ، والتلاؤم مع الظروف الجديدة على حين يجمد المطبوع ولا يساير الحياة الجديدة .

وكان تأثير لطفى السيد عن طريق المطبوع والمسموع على حد سواء ، ولكنه كصاحب مدرسة للفكرة ، وكما أطلق عليه من أنه أستاذ الجيل ، كان موجها لأصحابه وتلاميذه عن طريق المحاورة ، والمناظرة ، واللفتة الفكرية ، والفكرة الموحية ، أكثر من ايحائه لهم بالمقال والكتاب .

وذكرياتى معه كثيرة لن أقف منها الا عند أمور ثلاثة هى أوقعها فى النفس ، وأبقاها فى صفحة الذهن ، وأعمقها فى مجال الفلسفة ، وهذه الأمور هى : الزمان ، والقرآن ، وفلسفة اليونان .

وليس من الغريب أن يجمع أستاذ الجيل بين الفلسفة والدين ، لأنه انما كان يجرى على سنة الفلاسفة الاسلاميين الذين اضطرتهم نشأتهم العربية إلى التوفيق بين الفلسفة الوافدة والديانة الموروثة .

ان مافعله لطفى السيد لم يكن الا امتدادا للفلسفة الاسلامية فى عصرها الذهبى حين اصطنعت مشائية ارسطو ولاءمت بينها وبين التعاليم الاسلامية ؛ أو هو تجديد لهذه النزعة القديمة فى ثوب جديد يتلاءم مع العصر الحاضر

وأول ما سمعته من أستاذ الجيل وأنا فى صدر شبابى حديث التخرج فى الجامعة المصرية ـ وكنت أزوره مع بعض الزملاء فى ادارة الجامعة التى كان مديرا لها ـ حديثه عن اعمق مشكلة فلسفية وهى « الزمان » . أخذ يحاورنا ويتبسط وايانا ، ويسألنا عن كليتنا وعن القسم الذى تخرجنا فيه ، حتى اذا عرف اننا من قسم الفلسفة راح يحاورنا فى مفهوم الزمان ، ماهو ؟ اله حقيقة خارجية ، أم هو من كيان النفس ونسيج الذات ؟ وان كانت له حقيقة خارجية فهل هو متناه أم أن هناك نهاية له ، ولا أول معه ولا آخر . ما الزمان ؟ سؤال لايزال يرن صداه فى صفحة الفؤاد منذ سمعته عنه من أكثر من ثلاثين عاما ، ولم أصل الى معرفة الجواب الشافى الذى يطمئن العقل اليه ويبلغ فيه الى اليقين . أنه من عرف سر الزمان فقد عرف الحقيقة القصوى وهذا مطلب بعيد المنال لايزال المفكرون يمعنون فيه النظر ، وكلما حسبوا أنهم اقتربوا من معرفة ، تبين لهم أنهم لا يزالون بعيدين عنه ، وان حجا كثيفا يحول بينهم وبين الحقيقة فى ذاتها . هل الزمان مقدار الحركة كما ذهب الى ذلك أرسطو فى القديم ، أم هو اتصال الماضى بالحاضر ومنه الى المستقبل فهو مجموع الآنات الفاصلة بين نهاية الماضى وبداية المستقبل ، أم هو احساس شخصى باطنى بوجوده الى غير ذلك من النظريات التى يطلع بها علينا المفكرون والعلماء والفلاسفة ؟ كل ذلك لا يبلغ كنه الحقيقة ولا يكشف سرها .

ان الفلسفة طريق المعرفة وشوق الى الحقيقة ، وهى محبة البحث واللذة التى تحصل للمرء من ادمان النظر وامعان الفكر ، وتزول هذه اللذة عندما ينقطع الطلب وقد كان لطفى السيد فيلسوفا على هذا المعنى .

ومما سمعته عن أستاذ الجيل من الأفكار الموحية رأى فى تفسير الحروف الواردة فى بعض أوائل السور فقد كنت أعلم عظيم عنايته بالقرآن يحفظه ويتلوه ويتأمله وينظر كما جاء فى الكتاب فى ملكوت الله وعجائب الخلق للاعتبار والاهتداء الى معرفة الخالق . والقرآن ديوان المسلمين يستمدون منه اللغة والفصاحة والبلاغة ومكارم الأخلاق وأصول الدين ،، وقد اختلف المفسرون فى تفسير أوائل السور الى بضعة عشر قولا

مثل أنها مفاتيح السور،أو أنها رموز كان كتاب الوحى يضعونها على أوائل السور للتمييز بينها ، أو ليبان العرب أهل الفصاحة لان كلامهم من جنس هذه الحروف الى غير ذلك . ولا يرضى بعض المفسرين عن كل ما يقــال فيقررون عجزهم عن معرفة المقصود ويقولون : الله أعلم بمراده .

سألت الأســتاذ لطفى السيد عن هذه المسألة فأجاب بهــذا الرأى الاجتهادى : أنها مقدمات موسيقية تمهد للسورة ، مثل « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) و (ن والقلــم وما يســطرون) و (يس والقرآن الحكيم) وهكذا لاشك أن الذين يأخذون بأن بلاغة القرآن ترجــع الى مافيه من نظم موسيقى لا يرون فى هذا التأول شططا مع تسليم بأن موسيقية القرآن خاصة به لا تندرج تحت الموسيقى المتداولة تماما ورأى أستاذ الجيل جدير بالنظر وهو من جملة الاراء التوجيهيــة الموحية التى تحتاج الى متابعة بحث .

على أن أعظم ما كان يشتغل به لطفى السيد واشتهر به وعرف عنه ترجمته لبعض كتب أرسطو التى ظهر منها : الطبيعة ، والكون والفساد والأخلاق ، والسياسة ، ومناسبة هذه الترجمة مع ذكرياتى وثيقة لاننى قمت بترجمة أحد كتب أرسطو وهو « كتاب النفس » وقلت فى الطبعة الأولى لهذه الترجمة التى صدرت ١٩٤٩ ما نصه :

« لايزال أرسطو بعد ثلاثة وعشرين قرنا من الزمان راسخا كالطود الشامخ ،ومما لانراه فيه أنه يقتسم مع أستاذه صاحب الأكاديميةالفلسفية حتى اليوم ، ولا يستطيع أحد أن يفهم فلسفة المعاصرين حق الفهم اذا لم يكن على المام بفلسفة أفلاطون والمشائين . وقد فطنت الشعوب الحية الى ذلك ، فنقلت كتبه الى اللغات الحديثة فهناك تراجم ألمانيه وانجليزية وفرنسية وايطالية لجميع محاورات أفلاطون وسائر كتب أرسطو .. واذا كانت مصر قد أخذت ترتقى سلم الحضارة بخطوات واسعة فى نهضــتها الحديثة فقد فطن المشتغلون بالفلسفة الى وجوب نقل هذه الامهــــات الخــالدة .

وتصدر الحركة أحمد لطفى السيد فترجم من كتب أرسطو الطبيعة ، والكون والفساد والأخلاق ، والسياسة . وكتـــاب النفس الذى تقدمه فى ترجمته العربية مضاف الى تلك السلسلة التى بدأها استاذنا الجليل »

هذا طرف مما كتبته سنة ١٩٤٩،فى مقدمة الكتاب،تقدمت به وأهديته الى الأستاذ الجليل فكانت مقابلة مشائية دار فيها الحديث عن المعلم الأول ، وأهمية فلسفته وكيف أثرت فى الفكر الاســـلامى قديما وكيف ينبغى أن تسهم فى ثقافتنا الحاضرة .

لقد نهضت ثقافتنا التاريخية نتيجة التوفيق بين التعاليم الاســـلامية وبين فلسفة اليونان بوجه خاص وفلسفة أرسطو بوجه أخص ، فقد اصطنع العرب أداته فى التفكير وهى المنطق ، ونقلت كتبه كلها فى عصر الترجمة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بدار الحكمة ببغداد ، وترجمت كتبه أكثر من مرة لضرورة التصحيح والاصلاح والتنقيح فكان الكتاب الواحـــد ينقل نقلا أولا ونقلا ثانيا وثالثا . غير أن معظم تلك الترجمات فقدت وبقى بعضها ، مثل كتبه المنطقية التى بقيت فى مخطوطه وحيدة نشرها الدكتور عبد الرحمن بدوى بعنوان « منطق أرسطو » وليس المنطق هو كل ماكتبه أرسطو ، لأنه دون فى جميع الفنون من طبيعة وفلك وأثار علوية وعلم نفس وعلم حيوان وعلم نبـــات وما وراء الطبيعة ، ونحن نعلم أن الجاحظ كان متأثرا بأرسطو فى علم الحيوان وينقل رأيه فى كتابه العربى المشهور عن الحيوان . والجاحظ يعظم أرسطو ويسميه صاحب المنطق تارة وصاحب الحيوانات تارة أخرى ، ويطلق عليه ابن سينا لقب «المعلم الأول» ويجاريه فى تآليفه وبخاصة فى كتاب الشفاء ، الموسوعة السينوية الكبرى .

هذه هى منزلة أرسطو فى تاريخ الفكر الاسلامى ولا يمكن أن يضرب المحدثون صفحا عن ذلك التأثير حين يقيمون حاضرهم على ماضيهم ، فقد أصبحت الفلسفة اليونانية جزءا لا يتجزأ من تراث العرب الى درجة أن أوربا حين بدأت فى العصر الوسيط تتابع ما انقطع من تيار الفـــكر نقلت التراث الفكرى عن العرب ، ثم راحت أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تحقق الأصول التى تعتمد عليها ثقافتها فأخذت تترجم فلسفة اليونان

عن الكتب اليونانية الأصلية لا عن تلك التى نقلت اليهم عن طريق اللغة العربية ، فكان ذلك هو السبب الذى دعا الأستاذ «بارتلمى سانتهلير» أن ينقل كتب أرسطو الى الفرنسية وأن يضع مقدمات طويلة تتلاءم مع مابلغه العلم فى القرن التاسع عشر . ولايمكن فهم فلسفة القرن التاسع عشر الا فى ضوء هذا الربط بين القديم والحديث ، وقد رأى لطفى السيد أن يشارك فى هذه الحركة فنقل ما نقل من كتب أرسطو عن ترجمة سانتهلير ، واذا كانت أوربا قد تابعت هــذه الحركة فنهض المختصون بوضــع ترجمات أخرى أكثر دقة ومطابقة الى الأصل الأرسطى ــ حتى لقد ظهرت فى كل لغة أكثر من ترجمةــفينبغى أن نمضى فى الطريق نفسه الذى بدأه لطفى السيد ، وهو الطريق الذى سلكه الغرب أنفسهم فى نقل الكتاب الواحد أكثر من مرة .

ونحن فى حاجة بالنسبة لفلسفة أرسطو الى أمرين : الأول تكملة ما شرع فيه لطفى السيد بأن نترجم ما بقى من مؤلفاته ، والثانى أن نعيد الترجمة بالرجوع الى الأصل اليونانى نفسه .

أن أرسطو ولا يزال أحد أعــلام الفــكر لا تستغنى أمة ترتفع فى حضــارتها الى منزلة الصدارة من نقل كل تراثه كما ينبغى أن تنقل تراث غيره من أعلام الفكر . وقد مر على العرب حين من الدهر هاجموا فيــه فلسفة أرسطو ونسبوه الى الكفر والالحاد ، وذهبوا الى أنهم فى غير حاجة الى منطقه أو آرائه الطبيعية ، وبدأت هذه الحركة منذ القرن الســادس الهجرى وبلغت مداها فى القرن الماضى حيث أضحى المشتغل بالفلســفة كافرا ، والسائر فى طريق المنطق زنديقا . ولذلك يعد لطفى السيد رائدا للفكر الحديث حين نزل الى الميدان يعيد الى المعلم الأول اعتباره ، وأصبحنا الآن لا نستغرب الاشتغال بالمنطق أو بالفلسفة ولا نعد النظر فيهما كفرا أو زندقة .

واذا كان لنا أن نتقدم فى الذكرى الأولى لمرور سنة على وفاة أستاذ الجيل باقتراح يخلد ذكراه ويحقق ما كان يطمع أن يفعله فى ميــدان

الثقافة والفكر ، فهو أن نعهد الى لجنة باسم لطفى السيد بتنظيم الأعمال الآتية ومتابعتها .

أولا : جمع ما ترجمه العرب قديما من مؤلفات أرسطو ونشرها نشرا علميا محققا

ثانيا : ترجمة سائر مؤلفات أرسطو ترجمة حديثة مطابقة للاصـــل اليــونانى

ثالثا : تأليف كتاب عن أثر أرسطو فى الفكر العربى ، أو بالاولى عدة كتب توضح التأثير الأرسطى فى النواحى المختلفة من الفكر العربى من فقه ونحو وشعر ومنطق وطبيعيات وعلم نفس واخلاق وغير ذلك .

لطفى السيد وترجمته لأرسطوطاليس

كلمة الدكتور عبد الرحمن بدوى

اقترن اسم فقيدنا العظيم ـــ أحمد لطفى السيد باسم المعلم الأول أرسطوطاليس ، فى النصف الثانى من حياته ، منذ أن شرع يترجم مؤلفاته التى بدأها بترجمة كتاب « الأخلاق الى نيقوماخوس » سنة ١٩٢٤ ، وسجل هذا الاقتران بين أحمد لطفى السيد وأرسطوطاليس الشاعر أحمد شوقى فى قصيدته التى هنأه بها على هذه الترجمة ، ومطلعها :

علمت بالقلم الحكيم	وهديت بالنجم الكريم
وأتيت من محرابه	بأرسططاليس العظيم

وفيها يقول :

يا « لطف » أنت هو الصدى	من ذلك الصوت الرخيم
أرج الرياض نقلته	ونسخته نسخ النسيم
وسريت من شعب الألـ	ـب به الى الوادى الصريم
فتجارت اللغتان للغا	يات فى الحسب الصميم
لغة من الاغريق قيـ	ـمة وأخرى من تميم
مشاء هذا العصر قف	حدث عن العصر القديم
مثل لنا اليونان بين الـ	ـعلم والخلق القويم

واستمر أحمد لطفى السيد فى أداء هذه المهمة التى أخذها على عاتقه فقفى ذلك بترجمة كتاب « الكون والفساد » ١٩٣٢ ثم « الطبيعة » ١٩٣٥ ، ثم « السياسة » ١٩٤٧ ، وكانت ترجمته لا عن الأصل اليونانى ، بل عن الترجمة الفرنسية التى قام بها الفيلسوف والسياسى المعروف جول بارتلمى سانت هيلير الذى ولد فى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٥ فى باريس ، وبها توفى فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٥ بعد حياة حافلة فى العلم والسياسة معا : فقد بدأ حياته صحفيا فى جريدة « الجلوب » منذ سنة ١٨٢٦ يعارض السياسة الرجعية التى سلكها الملك شارل العاشر حتى سنة ١٨٣٠ . ولما قامت ثورة يوليو سنة ١٨٣٠ وقع على احتجاج الصحفيين ضد الأوامر

الملكيـة وبدأ يكتب فى جريدة « الدسـتورى » و « البريد الفرنسى » و « الوطنى » واشترك فى تأسيس صحيفة « الرأى السليم » . ثم صار مديرا لمكتب الفيلسوف الفرنسى فكتور كوزان لما أصبح وزيرا للمعارف سنة ١٨٤٠ . واشترك فى ثورة سنة ١٨٤٨ بين المعتدلين ، ثم صار نائبا فى الجمعية التأسيسية ، حتى وقع انقلاب نابليون الثالث ، فرفض القسم له واستقال من منصبه أستاذا ومديرا للكوليج دى فرانس . ومن ثم تفرغ لأعماله العلمية. وكان قد وضع لنفسه خطة فى سنة ١٨٣٢ هى أن يقوم بترجمة كاملة لمؤلفات أرسطوطاليس ، كما فعل صديقه فيكتور كوزان بالنسبة الى مجموع مؤلفات أفلاطون . وكان قد تتلمذ فى الفلسفة على كوزان ، كما أخذ يدرس السنسكريتية — على يد أوجين برنوف العالم الفرنسى الشهير بالهنديات . فواصل ترجمة أرسطوطاليس منذ الانقلاب الى أن عاد الى الاشتغال بالسياسة فى سنة ١٨٦٩ فانتخب نائبا يعارض سياسة الامبراطور نابليون الثالث . فلما سقط نابليون الثالث سنة ١٨٧٠ كان بارتلمى سانت هيلير من أشد مؤيدى تيير وظل يعاونه حتى سقوطه ، ثم انتخب سنة ١٨٧٥ عضوا مدى الحياة فى مجلس الشيوخ . وفى سنة ١٨٨٠ عين وزيرا للخارجية فى وزارة جـول فرى ، وكانت سـياسته الخارجية سياسة المسالمة وكبح جماح الاستعمار الفرنسى ، فعارض فى فرض الحماية على تونس .

بدأ بارتلمى سانت هيلير بترجمـة كتاب « السياسة » على النص اليونانى وظهرت الترجمة مع النص سنة ١٨٣٧ (فى مجلدين ؛ — ط ٢ سنة ١٨٨٤ ؛ ط ٣ سنة ١٨١٨ فى مجلد واحد) ، وعقب ذلك عين أسـتاذا للفلسفة اليونانية واللاتينية فى الكوليج دى فرانس فى يناير سنة ١٨٣٨ . وعنى بترجمة «منطق أرسطو» بين سنة ١٨٣٩ — ١٨٤٤ (فى ٤ مجلدات) وكتاب «النفس» (سنة ١٨٤٦ — ١٨٤٧ فى مجلدين) وكانت ترجمته للمنطق ولكتاب النفس أول ترجمة فرنسية لهما . وبعد ذلك ترجم كتاب « الأخلاق » (سنة ١٨٥٦ فى ٣ مجلدات) ، وكتاب « الشعر » (١٨٦٢ فى مجلد واحد) ، و « الطبيعة » (١٨٦٢ فى مجلدين) ، و « الآثار العلوية » سنة ١٨٦٧ ، و « فى العالم » (سنة ١٨٦٣ فى مجلد واحد) ،

و « فى السماء » (سنة ١٨٦٦ فى مجلد واحد) . وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة قد ترجمها الى الفرنسية لأول مرة ، ثم ترجم كتاب « الكون والفساد » مع كتاب « فى مليسوس واكسينوفان وغرغياس » وقدم لذلك « بمقدمة فى أصول الفلسفة اليونانية » (سنة ١٨٦٦) ، وترجم كتاب « الخطابة » (فى مجلدين) و « ما بعد الطبيعة » (سنة ١٨٧٩ فى ٣ مجلدات) ، و « أجزاء الحيوان » (سنة ١٨٨٥ فى مجلدين) ، و « تولد ونمو الحيوان » سنة ١٨٨٩ (فى مجلدين) و « المسائل » (فى مجلدين سنة ١٨٩١) .

والى جانب هذه الترجمات ألف بارتلمى عدة مؤلفات نذكر منها : « دراسة لمنطق أرسطو » (سنة ١٨٣٨ فى مجلدين) حصل بها على جائزة أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية سنة ١٨٣٨ ، و « مدرسة الاسكندرية » (سنة ١٨٤٤) وهو تقرير عن احدى مسابقات أكاديمية العلوم الأخلاقية ، ثم « الفيدات » (سنة ١٨٥٤) ، و « البوذية » (سنة ١٨٥٥) ، و « بوذا وديانته » (سنة ١٨٦٢) ، و « محمد والقرآن » (سنة ١٨٦٥) و « رسائل عن مصر » (سنة ١٨٥٦) . وهنا يجدر بنا أن نذكر أنه كان عضوا فى اللجنة المشكلة لدراسة حفر قناة السويس ، فزار مصر سنة ١٨٥٦ عضوا فى هذه اللجنة ، وعاد من رحلته بوصف لمصر نشره فى صحيفة « الديبا » من نفس العام . كما كتب مدخلا الى « ما بعد الطبيعة ــ لأرسطو » (سنة ١٨٧٩) ، ودراسة عن « الهند الانجليزية » (سنة ١٨٨٧) ونشر عدة مقالات عن الأدب الهندى ، ودراسة عن « المسيحية والبوذية » (سنة ١٨٨٠) .

وقد زود بارتلمى سانت هيلير ترجماته هذه لأرسطوطاليس بمقدمات ضافية جدا وشروح مستمرة تبلغ أضعاف أضعاف الأصل . ولقيت هذه الترجمة آنذاك رواجا عظيما وترحيبا بالغا من المشتغلين بالفلسفة ، حتى قال جول سيمون الفيلسوف الشهير : « انه لمجد عظيم وسعادة كبيرة ، أن يأخذ المرء منذ شبابه على عاتقه هذه المهمة الشاقة الضخمة ، وأن يواصل أداءها طوال نصف قرن ، دون اخلال بأى واجب كبير من واجبات الحياة العامة ودون أن يكف عن القاء النور ، بمؤلفات أصيلة ، على

مسائل مهمة ، وأن يحق لنفسه أن يقول انه قدم مثل هذه الخدمة الى الفلسفة والآداب والوطن جزاء وفاقا عن مهمته العظيمة » .

فلم يكن عجبا اذن أن يتولى أحمد لطفى السيد ترجمة مؤلفات أرسطوطاليس عن هذه الترجمة التى لقيت آنذاك تلك الشهرة . هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى،لم يكن فى مكنه أن يفعل غير ذلك لأنه لم توجد فى الفرنسية آنذاك ترجمة غيرها ، « فالأخلاق الى نيقوماخوس » لم يترجم من جديد الا سنة ١٩٤٠ ترجمة لا تفضل كثيرا ترجمة بارتلمى سانت هيلير ، ونعنى بها ترجمة جان فوالكان (عند الناشر جارنييه) ، و « الكون والفساد » ترجمة تريكو ترجمة جيدة سنة ١٩٣٤ ، و«الطبيعة» ترجمة كارتيرون سنة ١٩٢٦ ، سنة ١٩٣١ (فى مجلدين) ، و « السياسة » كان قد ترجمها قبله شارل ميون سنة ١٨٠٣ كما ترجمها تيرو هى و «الأخلاق سنة ١٩٢٣» (فى مجلدين) ، ولكن ترجمة بارتلمى سانت هيلير أفضل من كليهما . ومما يؤخذ على ترجمات سانت هيلير هو أنها لاتتابع النص الأصلى بدقة ، ابتغاء الايضاح ، ولهذا أحيانا تتحول الى عرض موسع يعطى المعنى ولا يعطى النص الحرفى . ولعل هذا هو السبب فى حملة بعض مؤرخى الفلسفة عليها ، وعلى كل حال فان تقدم تحقيق نص أرسطو منذ أواخر القرن الماضى حتى الآن هو الذى اقتضى عدم الثقة بعد بترجمات بارتلمى سانت هيلير لمؤلفات أرسطوطاليس .

وعلى كل حال فقد أخذ أحمد لطفى السيد نفسه بنفس المهمة التى قام بها بارتلمى سانت هيلير ! وما أعجب الشبه بينهما !

كلاهما عاش تسعين سنة وبضعة أشهر ، وكلاهما خاض غمار السياسة واشتغل بالصحافة زمنا ، وكلاهما كان ديمقراطى النزعة يحارب الطغيان ويعارض الاستعمار ، وكلاهما كان وزيرا للخارجية ولنفس المدة تقريبا، وكلاهما كان عضوا فى مجلس الشيوخ ومديرا لأكبر معهد علمى عال فى بلاده .

أما ترجمة المترجم العربى فتمتاز بالدقة فى النقل ، والحرص على

أداء المعنى بأوجز لفظ ، واستخدام اصطلاحات عربية حديثة غير مستندة الى الترجمات العربية القديمة الا فى النادر . وأسلوبها هو نفس الأسلوب الذى نعهده فى مقالات أحمد لطفى السيد – التأنق فى اختيار اللفظ على قدر المعنى تماما ، واللجوء الى عدم الربط بحروف العطف بين بعض الجمل تمشيا مع الأصل المنقول عنه . صحيح أن الترجمة تخلو أحيانا عن الحلاوة والطلاوة ، ولكنها تلتزم الدقة فى التعبير دائما . ومن الواضح طبعا أن مسئوليته مترجما هى عن الترجمة الفرنسية وحدها ، لا عن النص الأصلى (اليونانى) لأرسطوطاليس .

وان المرء ليعجب كل الاعجاب ، وهو يرى هذه الترجمات الأربع لأربعة كتب رئيسية لأرسطوطاليس مع الشروح المستفيضة التى زودها بها المترجم الفرنسى والمقدمات المسهبة التى مهد لها بها – نعم ! يرى هذا العمل الصابر الدقيق وقد قام به من لم يحترف الفلسفة تدريسا ومهنة ، بل لم يدرسها دراسة منظمة .

وكل ما فى الأمر أنه كان يغشى دروس الفلسفة والآداب الفرنسية فى جامعة جنيف سنة ١٨٩٧ لما أن كان مبعوثا سياسيا الى جنيف فانتسب الى جامعتها . وربما غشى بعض دروس الفلسفة أثناء زياراته لباريس فى السنوات ١٨٩٥ ، ١٨٩٧ ، سنة ١٩٠٦ وان كنا نشك فى ذلك لأنه هو لم يذكر لنا شيئا من ذلك ، وربما كانت زياراته هذه فى الصيف فلم يتيسر له مع ذلك أن يحضر دروسا فى الفلسفة . ولهذا لم يعد نفسه مختصا فى الفلسفة . اذ قال فى مقال له فى ١٦ يوليو سنة ١٩١٤ : « وهنا نشعر أننا سنقع فى خوض الفلسفة ، وما كان لنا أن نفعل ذلك ، باعتباره ليس من اختصاصنا » (المنتخبات جـ ٢ ص ٢٤) .

لكنه كان يشعر فى ذلك الحين بأهمية الفلسفة فى التعليم ، فدعا فى مقال له نشر فى « الجريدة » فى ٣٠ يوليو سنة ١٩١٤ (العدد رقم ٢٢٤٩) الى ادخال « المنطق وعلم الأخلاق وتاريخ الفلسفة والمذاهب الفلسفية » فى برامج التعليم الثانوى ، وهو أمر لم يتحقق الا على يديه فى سنة ١٩٢٨ ، لما أن كان وزيرا للمعارف .

كما أن مقالاته فى ذلك الحين ، أى فى الفترة ما بين سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١٤ ، تدل على أنه كان ذا اطلاع غير قليل على كتب الفلسفة ، فتراه يشير مرارا الى أفلاطون وأرسطوطاليس وأوجست كونت (المنتخبات جـ ٢ ص ١٨ ، ص ٢٤) وبين واسبنسر ، ونراه يستعمل كثيرا من المصطلحات الفلسفية الخالصة مثل « الكمال الوجودى » (المنتخبات جـ ١ ص ١) ، « الاستقراء الحسى » الخ .

ثم تزايد اهتمامه بالفلسفة منذ سنة ١٩٢١ ، وكانت أولى ثمار هذا الاهتمام ترجمته لكتاب «الأخلاق الى نيقوماخوس» لأرسطوطاليس سنة ١٩٢٤ ، وظل هذا الاهتمام ينمو ويتسع طولا وعرضا ، ويتناول سائر الفلاسفة اليونانيين وبعض أعلام الفلسفة الحديثة مثل « كانت » حتى أصبحت الفلسفة ذات نصيب وافر من قراءاته ، ان لم تكن صاحبة النصيب الأوفى ، فى الثلاثين سنة الأخيرة من حياته . واذا لم يكن له من آثار مكتوبة فى الفلسفة غير تلك الترجمات لبعض مؤلفات أرسطو ، فقد كان حديثه الناصع الرصين يفيض بالمعانى الفلسفية ويصدر عن تمثل واع عميق للفلسفة ومذاهبها ، وكانت حياته نموذجا للحكمة فى الحياة .

وهنا نتساءل : لماذا اتجه أحمد لطفى السيد الى أرسطوطاليس أول ما اتجه فى نقل التراث الفلسفى الى العربية ؟

والجواب قد قدمه هو فى تصديره لترجمة كتاب « الأخلاق الى نيقوماخوس » فقال :

« لما اتجهت الميول العامة ، منذ زمان ، الى ادخال التعاليم الفلسفية فى مدارسنا ومعاهدنا الدينية ، ارضاء لأطماع الطلبة العلمية ، واتماما لبرامج التربية المصرية ، فكرت فى أى مذاهب الفلسفة يمكن الاقتداء به بحيث لا يصادم العقائد القومية ولا ينافر التعاليم الدينية ، فظننت أن أولى مذاهب الفلسفة بالقبول عندنا الآن وأسرعها تمثلا فى الأفهام وأبعدها عن التضاد الصريح للمألوف من منازعنا والراسخ من عقائدنا هى فلسفة أرسطوطاليس . لقد قوبلت فلسفة أرسطو عند السلف بصدر رحب وتغلغلت فى البيئات العلمية وغلبت غيرها فيها حتى صار المتعلمون أشبه

ما يكونون بالمشائين ، واشتغل بها الخلفاء وأهل النظر من علماء المسلمين فى الشرق وفى الغرب . وأصبحوا خلفاء أرسطو وممثلى مذهب المشائين حتى فى أوربا نفسها من القرن الثانى عشر الى القـرن السادس عشر ، وتألف بذلك من مجموع بحوثهم فى الشرق والغرب ما يسمى الفلسفة العربية ــ وهذه الفلسفة العربية قد انتشرت فى مصر وفى جميع الأقطار الاسلامية حتى صبغت بصبغتها علم الكلام وأفاضت أنماطها على العلوم الدينية الأخرى ، وها نحن أولاء ، مهما رثت عرى الاتصال بين معلوماتنا الحديثة وبين الفلسفة العربية ، لا نزال نرى آثارها ظاهرة جد الظهور فى دواوين شعرائنا وكتب كتابنا وآثار علمائنا ، أو على جملة من القول، فى تلك المجموعة التى تؤلف نهضتنا الأدبية الحاضرة .

« اذا شئنا أن تكون لنا فلسفة مصرية تأتلف ومعلوماتنـا ، وجب علينا أن نجدد الفلسفة العربية التى فقدت أعيانها ولم تبق الا آثارها ، أو بطريقة أقرب : أن ندرس فلسفة أرسطوطاليس » (ص ١٣ ــ ص١٤)

وهكذا يتبين لنا أن الدوافع التى دفعت فقيدنا الكبير الى البدء بنقل فلسفة أرسطوطاليس هى :

أولا : انها أولى مذاهب الفلسفة بالقبول عندنا ، وأبعدها عن التضاد والتصادم مع عقائدنا .

ثانيا : أنه لكى تكون لنا فلسفة مصرية تأتلف مع معلوماتنا فانه يجب علينا أن نجدد الفلسفة العربية ، وما الفلسـفة العربية فى مجموعها الا فلسفة أرسطوطاليس ، وعلى هذا فان الخطوة الأولى فى سبيل تجديد الفلسفة العربية هى تقديمه من جديد فى أصوله الأولى الى قراء العربية .

ثالثا : أن النهضة الأوربية الحديثة عمدت الى درس فلسفة أرسطو اعتمادا « على نصوصها الأصلية » سواء أكان ذلك باليونانية أم باللاتينية أم باللغات الأوربية الاخرى فكانت مفتاحا للتفكير العصرى الذى أخرج كثيرا من المذاهب الفلسفية الحديثة . فلا جرم أن تتخذ نحن فلسـفة أرسطو ، وأكرر ــ هكذا يقول ــ أنها أشد المذاهب اتفاقا مع مألوفاتنا

الحالية ، الطريق الأقرب الى نقل العلم الى بلادنا وتأقلمه فيها ، رجاء أن ينتج فى النهضة الشرقية مثل ما أنتج فى النهضة الغربية » (ص ١٥) .

واذن فقد كان أحمد لطفى السيد يرمى من تقديمه أرسطو مرةأخرى الى قراء العربية أن يحدث ذلك مثل ما أحدث فى أوربا فى عصر النهضة : من تجديد للفكر واخصاب للثقافة وبعث للروح العلمية الصحيحة،واتخاذ للمناهج العلمية السليمة .

رابعا : ولكنه يعود فيستدرك قائلا أن هذه الاعتبارات الثلاثة ليست هى وحدها الدافع الى دراسة أرسطو « كلا ! ان فلسـفة المعلم الأول خالدة ، ما حدها وطن ولا أخنى عليها زمن . فقد بنت عليها كل مدنية صروح مجدها العلمى حتى مدنيتنا الحديثة ، حتى المدنية المستقبلة ــ على الفرض الذى افترضه بارتلمى سانت هيلير ، اذ افترض أنه اذا أغارت أمم بربرية ــ أيا كانت ــ على هذه المدنية الحديثة فأودت بما فيها من علم وفلسفة فالى من يرجع بعد ذلك ليؤخذ عنه العلم ؟ أيرجع الى«كنت» أم الى « هيجل » أم الى ليبنتز ، أم الى ديكارت ؟ كلا ! على رغم عبقرية هؤلاء فلا مرجع الا الى أرسطوطاليس » (ص ١٦) .

ويأخذ أحمد لطفى السيد فى تعداد فضائل ومناقب أرسطوطاليس التى تؤهله لهذه المكانة لينتهى الى النتيجة التى يريد أن يؤكدهاباستمرار وهى : « أن الطريق القريب والأمين والخالى من العقبات الى تمكين الفلسفة من بيئاتنا العلمية لتنتج فى الذكاء المصرى قوى الكشـف عن أسرار الطبيعة والاختراعات المتنوعة وصحة الحكم على الأشياء هو اتخاذ فلسفة يجتمع فيها التوحيد وبناء العلم على المشاهدة فى آن واحد ، أو بعبارة أخرى : فلسفة أرسطوطاليس » .

ولهذا اعتزم أن ينقل منها الى العربية أهم أجزائها ، فنقل أولا كتاب « الكون والفساد » ، ولكنه آثر أن يبدأ بنشر ما سماه « الاجتماعيات » أى كتاب « الأخلاق » و « السياسة » ، « فانهما أسهل تناولا وأعجـل فائدة » .

وهنا يتحسر على أنه لا يعرف اليونانية لينقل عنها مباشرة كما نقل الدكتور طه حسين « نظام الآثينيين » « فذلك — كما قال — أدعى الى الوقوف على مرامى أرسطو . ولكنى من قبل ذلك قد كنت تعجلت الفائدة من درس فلسفة أرسطو ، فعمدت الى الترجمة من النسخة الفرنساوية التى نقلها الأستاذ بارتلمى سانتهلير من اليونانية مباشرة ، لأنه مكث طويلا معلم الفلسفة فى « الكوليج دى فرنس » ولأنه هو الوحيد الذى ترجم كل مجموعة أرسطوطاليس ما عدا « نظام الآثينيين » الذى استكشف حديثا ، ولأن سانتهلير قد علق تعليقات متصلة ممتعة ينتفع بها المدرسون والطلبة .

ومع ذلك فانى كنت أرجع فى ترجمة علم الأخلاق الى ترجمة «تيرو» عند اللبس والغموض وعند الشك » (ص ٢٠) .

واذن فقد كان يرى أن الأمثل هو أن يترجم عن الأصل اليونانى لأن هذا أدعى الى الضبط فى النقل وأدنى الى الوقوف على مرامى أرسطو . لكنه أراد تعجيل الفائدة من درس فلسفة أرسطو حتى يتوافر من بعده من يستطيع النقل عن اليونانية مباشرة ، وهو يبرر اختياره لترجمة سانتهلير بأن هذا قد ترجم كل مجموع مؤلفات أرسطو ، فهو بذلك أحرى بأن يكون قد عرفه حق المعرفة من طول ممارسته لفكره ، وبأنه وضع تعليقات متصلة ممتعة ينتفع بها المدرسون والطلبة ، وهو قد قصد أيضا الى نفع هؤلاء اعتمادا على أن مذهب ومؤلفات أرسطو لابد أن تأخذ مكانتها فى برامج التعليم الثانوى والجامعى كما دعا الى ذلك سنة ١٩١٤

وأوضح أنه مع ذلك كان يرجع « عند اللبس والغموض وعند الشك » الى ترجمة أخرى أقدم من ترجمة بارتلمى سانتهلير ،وهى ترجمة شارل تيرو التى أشرنا اليها من قبل والتى نشرت سنة ١٨٢٣ .

وبين طريقته فى الترجمة وهى أنه التزم الترجمة الحرفية « لأنها هى وحدها — كما قال — اللازمة لنقل الكتب العلمية وعلى الخصوص كتب الفلسفة » (ص ٢٠) وهو مذهب فى الترجمة حميد ، وينبغى الأخذ به وحده ، وهو بعينه المذهب الذى التزم به كبار المترجمين العرب الأوائل

وعلى رأسهم حنين بن اسحق وابنه اسحق . وأكبر خطر يتهدد الترجمة هو عدم التزام الحرفية ، لأنها وحدها الكفيلة بأداء الأصل كما هو . وأكبر جناية فى هذا الباب هى التصرف فى الترجمة أو التوسع فى العرض دون التقيد بالأصل ، وهما آفتان لانزال نعانى منهما حتى اليوم مع الأسف البالغ ، رغم هذا التنبيه الحصيف الذى وجهه أستاذ الجيل منذ أربعين عاما . وعدم النقل أصلا خير ألف مرة من النقل بتصرف ، أيا ما كانت حدود هذا التصرف . أجل الترجمة بتصرف خيانة للأصل ما بعدها خيانة وجناية على الفكر ما بعدها جناية !

ثم يقدم لنا أحمد لطفى السيد فى هذا « التصدير » الممتاز لترجمة كتاب الأخلاق ترجمة لحياة أرسطو طاليس أستند فيها الى أوثق المصادر ، فحققها ونفى عنها الأخبار الأسطورية ، واستفاد من المصادر الأصيلة وبالدراسات الأوربية الحديثة والمصادر العربية معا ، كما درس مؤلفات أرسطو طاليس وكيفية نقلها ، وتحدث عن ترجمتها الى العربية ، وعن دراسة أرسطو فى العالم الاسلامى فى الشرق والغرب ، وأخذ يعدد الصحيح منها والمنحول . فجاء هذا التصدير بحثا تاريخيا وافيا يقدم خلاصة خير صورة عرفت فى ذلك الحين عن حياة المعلم الأول ومؤلفاته .

لقد كان أحمد لطفى السيد يشعر بجلال هذه المهمة التى رأى فى تحقيقها وسيلة من أنجع الوسائل فى بعث الفكر العربى ، وفى ايجاد حضارة جديدة فى العالم العربى ، وفى تحقيق الكمال الانسانى بوجه عام .

وسيظل عمله فى هذا الباب أبقى أثر له على مر الأجيال .

كلمة الدكتور محمد مظهر سعيد

السلام عليك يا أستاذ الجيل

ليس من مات تاركا ذكريات   عن حياة تنوء بالأعباء
كلها همة وعزم — بميت —   انما الميت ميت الأحيـاء

سيادة المحافظ ، أسرة الراحل العظيم ، سيداتى وسادتى :

ليس عجيبا أن تحتشد هذه الصفوة المختارة ، من رجال الفكر والرأى ، والعلم والأدب ، والصحافة والسياسة ، والتربية والتعليم ، وفى المنصورة بالذات — عاصمة الدقهلية — اقليم الراحل العظيم ، أحمد لطفى السيد ، أستاذ الجيل ، ورائد الفكر الحر والصحافة النزيهة والسياسة النظيفة ، ونصير الحق والحرية والعدل والديمقراطية ، وداعية التربية القومية والمثل الخلقية .

وليس عجيبا أن يكونوا بهذه الكثرة ، فقد كان الراحل العظيم وحدة أمة ، تحتاج فى رسم الخطوط العريضة لحياته ، والصور الخاطفة لآثاره الى أضعاف هذا العدد ، بل الى أمة بأكملها .

أما وقد شرفتمونى بدعوتى للاسهام فى هذا المهرجان ، فان من حق الراحل العظيم على ، وقد عرفته وعاشرته ، فى الصحافة والجامعة والوزارة ، أن أعرض الناحية التى تربطنى به ، وهى الفلسفة والتربية والتعليم ، بقدر ما يسمح به الوقت ويتسع له المقام .

فقد كان لطفى السيد حقوقيا ، بحكم دراسته ومؤهله ولكنه كان محبا للفلسفة بحكم بيئته المصرية الصميمة وتربيته الدينية الخلقية وعقله اللماح وحسه المرهف وذوقه الرفيع ومنطقه السليم . والفلسفة وثيقة الصلة بالقانون ، فالفلسفة تضع المبادىء الكلية للسلوك ، والقانون يضع النظم العملية لتحقيق هذه المبادىء .

وقد درس مبادىء المنطق بكلية الحقوق بمصر ، ومبادىء الفلسفة والاجتماع فى الدراسات الصيفية بجامعة جنيف بسويسره ، واتصل بفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغانى ، وفيلسوف الاسلام الامام محمد عبده ، وقرأ ترجمات فتحى زغلول الفلسفية وهى جمهورية أفلاطون ، وأصول الشرائع « لبنتام » ، والعقد الاجتماعى « لروسو » ، وروح الاجتماع وتطور الأمم « لجستاف لوبون » وترجم هو كتب أرسطو « فى السياسة » ، و« الكون والفساد » ، و« الأخلاق » ، و « الطبيعة »

وأغلب الظن أنه اطلع على مذاهب مختارة من الفلسفة اليونانية والاسلامية فى العهد القديم والوسيط والحديث وتخير منها ما ينفع بلاده ويناسب طبعه ومزاجه ، فكان فيلسوفا عمليا انتخابيا « اكلكتيا » .

وأستطيع أن استرسل فى الحديث عنه واقتطف من رياض علمه وأدبه زهرات نادرة وثمارا يانعة ولكنى أخشى أن تقصر عبارتى عن عبارته فيذهب لفظى بجمال لفظه وفكرى بجلال فكره ولذلك أستميحكم عذرا فى ذكر نص كلامه من مؤلفاته ومذكراته .

وابدأ من البداية بموضوع الانشاء فى امتحان السنة الثالثة بالحقوق الذى قال فيه :

« تناولت موضوع — حق الحكومة فى معاقبة الجانى — من جميع نواحيه وخلصت فى النهاية الى أن الحكومة ليس لها هذا الحق لأن الحكومة نشأت بالقوة والقوة لا تعطى الحق وأما الذى يعطيه فهو العقد فقط وليس هناك أى عقد بين الحكومة وبين أمتها » .

وهكذا قال جان جاك روسو فى العقد الاجتماعى . وقال بعدئذ :

« ان الحكومة لا تستمد وجودها الا من أصل واحد وهو عبادة القهر والغلبة والاستبداد فينبغى أن لا يكون للحكومة سلطان الا فيما ولتها الضرورة اياه وهى ولايات البوليس والقضاء والدفاع عن الوطن وفيما عدا ذلك من المرافق والمنافع فالولاية فيه للأفراد والمجامع الحرة

والحكومة ليس لوجودها علة الا الضرورة على أن يقف سلطانها داخل حدود الضرورة ولا يتعداه الى غيره من سلطان الأفراد فى دائرة أعمالهم ».

وهكذا قال بنتام وستيوارت مل الفيلسوفان الانجليزيان :

« والبداهة تشهد بأننا لا مصلحة لنا فى أن نأخذ حق الفرد ونعطيه لحكومة ليس لنا من أمرها نصيب وليس لنا عليها أى سلطان » .

. ولكنه من ناحية أخرى يقول :

« ان الأزمة الحالية التى جاءت بها الى مصر تلك الشركات التى كان لها رءوس أموال أغلبها من الوهم والتصرف الذى لا يخلو من فساد الذمة والاستهانة بحقوق المساهمين . أن كل حكومة متمدينة تجعل نصب عينها حماية المساهمين بأن تجعل للشركات قوانين أساسها مراقبتها من قرب » .

ويبدو شىء من التناقض فى هاتين القضيتين ولكن الواقع أنه ليس هناك تناقض فى المبدأ اذ يجمعهما حد مشترك هو الحد من طغيان الحكومة المستبدة وقتئذ والحد من طغيان الشركات الأجنبية المستغلة .

وقال فى واجبات الحكومة والحاكم :

« ليست الوظيفة لمصلحة الحاكم وانما لمصلحة المجموع وأن السلطة التى فى يد الموظف انما هى لمصلحة الجماعة لا لمصلحة شخصية ولا يجوز أن يكون فيها مصلحة شخصية الا الشعور بالرضى ذلك الشعور الذى يحس به الرجل عند ما يقوم بالواجب عليه لقومه .

فاذا عجز لأى سبب أن يؤدى الى أمته أكثر ما يستطيع أداؤه من خدمة حقوقها وتحقيق المبادىء التى يعتقد صلاحها فالواجب عليه أن يستقيل وتكون استقالته مشرفة لشخصه مشرفة لقومه ودرسا نافعا للناس ومثالا صالحا للصدق والاخلاص فى خدمة المجتمع .

وهكذا قال أفلاطون فى جمهوريته .

وتمشيا مع هذا المبدأ استقال مرتين يوم أن نقلت وزارة المعارف الأستاذ العميد الدكتور طه حسين من الجامعة فاعتبر ذلك اعتداء على حق

الجامعة وكان هو مديرها ويوم أن دعا الملك فاروق رؤساء الدول العربية للاجتماع فى انشاص دون اخطار الوزارة وكان هو وقتئذ وزيرا للخارجية فوقف فى وجه الطاغية واستقال لأنه أعتبر هذا اعتداء على حق الوزارة جملة وحقه هو خاصة .

وقال فى الحرية :

« الحرية هى الغذاء الضرورى لحياتنا ولو كنا نعيش بالخبز والماء لكانت عيشتنا راضية وفوق الراضية ولكن غذائنا الحقيقى الذى به نحيا ومن أجله نحب الحياة ليس هو شبع البطون الجائعة بل أيضا والعقول والقلوب . وعقولنا وقلوبنا لا ترضى الا بالحرية . من ذا الذى يظن الحياة شيئا والحرية شيئا آخر ولا يريد أن يقتنع بأن الحرية هى المقوم الأول للحياة ولا حياة الا بالحرية وانما يكون المرء حرا بقدر ما لديه من وسائل استعمال هذه الحرية فالحرية الناقصة حياة ناقصة وفقدان الحرية هو الموت لأن الحرية هى نفس الحياة .

وحسب المرء أنه خاضع لقوى الطبيعة وهموم الحياة وشهواتها وتتقاذفه دوافع لا طاقة له بها فما يكون أمره اذا كانت الحكومة تأخذ لنفسها ما بقى من سعادة الحرية الشخصية » .

وقد وجه هذا الكلام لحكومات العهد البائد وهكذا قال روسو وبنتام ومل .

وقال عن حرية المرأة :

« ان أول درس يجب أن يلقى على الطفلة المصرية مع الألف باء هو كونها مخلوقا حرا وهبه الله حريته وما وهب الله لا يسترده الا الله .

وهكذا ربط الحرية بالتعليم كما فعل أفلاطون .

وقال عن حرية التعليم :

« ان أساس التعليم حرية الفكر والنقد على وجه الاستقلال ، وقوام التربية الحقة حرية العمل والبعد عن التأثيرات الحكومية والسياسية .

وتمشيا مع مبدأ الحرية نادى بالديمقراطية التى تحقق الحرية فقال :

« الديمقراطية المثالية هى الحرة « الليبرالية » التى تقوم على أساس مذهب المنفعة العامة فكل مذهب سليم من مذاهب الحكم وكل مبدأ من المبادىء انما يدور مع منفعة الأمة دوران العلة مع المعلول والمذهب الذى يحقق المنفعة هو الحرية الذى يقضى به الله » .

وهذا هو مذهب فلاسفة المنفعة ــ بنتام ومل .

ونادى بالمثالية فقال كم قال الرواقيون من قبل .

« طبعنا على حب الكمال فى حياتنا ومعاداة كل العوارض التى تعرض لنا فى طريق المثل الأعلى والمعيشــة المستكملة وسائل الحرية وآثارها ولا خيرة هنا فيما طبعنا عليه ، أن المثل الأعلى ليس نقطة ثابتة ولا هدفا محدود المسافة يمكن بلوغه بل كلما بلغناه انتقل شبحه أمامنا الى منطقة أخرى على بعد مرمى البصر لسنا بالغيه ولا منصرفين عن التشبث بدركه بل تشوقنا اليه حاجة لا قبل لنا بالصبر عن قضائها ولو كلفنا ذلك أن نركب متن الصعب .

أما عن التعليم فقد قال :

« ان غنى الأمة وسعادتها ليسا فى خصب أرضها ولا فى صفاء جوها واعتدال اقليمها بل بمقدار عدد المهذبين « المتعلمين » من أبنائها فهم الذين يبنون مجدها وهم الذين يجلبون غناها لأنهم بعقولهم وعلمهم فى الصناعة والتجارة والاعتماد على النفس والمثابرة فى سبيل المنفعة ثروة تفوق ثروة الزراعة ومجدا طارفا لا يطاوله المجد التالد » .

وقال فى تربية الطفل :

« أبناؤنا أجزاؤنا وصنع أيدينا وهم بررة اذا أردنا وفجرة ان أردنا وهم فيما عودناهم ، والمرء أسير عاداته فهم ان قست قلوبهم وكسيت عقولهم فالمسئولية فى ذلك على ما أورثانهم اياه فى دمائهم، وأمزجتهم، وما قصرنا فيه من تصحيح عقولهم بالعلم وان نحن تحرينا الأصلح لمستقبلهم وربيناهم

على الفضيلة وهذبنا أذواقهم وقوينـا فى نفوسهم ملكة الأخذ من الغير وملكة الفهم وملكة الانتـاج أخرجناهم الى الحيـاة مسلحين يغلبون ولا يغلبون » .

وهكذا قال روسو فى «تربية اميل» وجون لوك فى «عقل الطفل» .

وقال فى رسالة الجامعة :

رسالة الجامعة تشجيع البحوث العلمية والعمل لرقى الآداب والعلوم والاكتشافات العلمية والتطبيقات العملية التى تنفع الناس فى أن تسخر لهم قوى الطبيعة ومواردها ، والجامعة التى تقوم بهذه الرسالة تحمل عن مصر واجبها فى المشاركة العامة فى رقى العلوم والمعارف فى العالم ، ولا شك أن نهضة الأمة ليست آخر الأمر الا نتيجة تربيتها الجامعية ، والجامعة من أكبر الوحدات الاجتماعية عددا وأسماها مكانة وأخطرها مسئولية وأشملها رسالة وهى مصدر اشعاع للتضامن القومى » .

وبدأ اهتمامه بالتعليم منذ أن عاد من سويسره فرفع للخديوى تقريرا يناشده فيه أن يرعى التعليم ويهتم به . وعنـد ما أنتخب عضوا بمجلس المديرية بدأ بزيارة المدارس الأولية بصحبة المرحوم الدكتور حسين هيكل ورفع بذلك تقريرا .

وعندما ولى وزارة المعارف قال :

« كان من حظى أن أتولى وزارة المعارف وهى الوزارة التى تتفق مـع ميولى الشخصية وما أهدف اليه عن طريق العلم والتربية . والتعليم طريق الحرية والاستقلال فان التعليم هو الذى يبنى عليه تحقيق الأطماع القومية. ان العلم ضرورى لتقدمنا بل هو ضرورى لحياتنا الحاضرة وهو السلاح الوحيد الصالح للانتصار فى معركة الحياة للفرد كما أن الأخلاق هى أساس قوة الأمم .

وقد كان نصيرا لتعليم البنت شديد التحمس له وهو يعزو ذلك الى أنه تعلم الألف باء وحفظ القرآن أول ما نعلم فى كتـاب الشـيخة فاطمة صاحبة الفضل عليه وفى هذا يقول :

« ان أكبر ما اعتز به حقا هو تعليم الفتاة المصرية .

« أن الفتيات المصريات طالبات الجامعة لهن ما لاخوانهن الطلبة من الحقوق وعليهن ما عليهم من الواجبات وقد قبلنا الطالبات أعضاء فى الأسرة الجامعية فى غفلة من الذين من شأنهم أن ينكروا علينا اختلاط الآنسات باخوانهن فى الدرس قبلنا الطالبات من غير أن تثار هذه المسألة فى الصحف أو الخطب حتى نضع الحكومة والرأى العام أمام الأمر الواقع وقامت ضجة تنكر علينا هذا الاختلاط فلم نأبه لها لأننا على يقين من أن التطور الانسانى معنا والتطور لا غالبا له ومعنا العدل الذى يسوى بين الأخ وأخته فى أن يحصل كلاهما على أسباب كماله الخاص على السواء ومعنا فوق وذلك كله منفعة الأمة من تهيئة الأسباب لتكوين العائلة المصرية على وجه يأتلف مع أطماعنا فى الارتقاء القومى » .

كل هـذا وأكثر من هذا قاله وكتبه ونشره الراحل العظيم فى عهود الاحتلال البريطانى الغاشم والحكومات المستبدة والرأسمالية المستغلة وكأنه كان يتكلم بلسان الثورة الحاضرة ويتنبأ بما قامت به للبلاد وقد حققت الثورة فعلا آماله ونبوءته .

ولعل خير ما نختتم به اليوم الأول لهذا المهرجان قوله :

« أن كل ما تفكر فيه أو تلفظه أو تعمله أنظر هل ترضى بأن يكون قانونا للدولة أم لا ، ان رضيت فافعله من غير خوف وان لم ترض فـلا تفعله أبدا .

أستاذ الجيل أمة في رجل

كلمة الأستاذ طاهر الطناحي

نحتفل اليوم بذكرى أستاذ الجيل « أحمد لطفى السيد » والحق أننا نحتفل بذكرى نهضة قامت فى أوائل القرن العشرين كان لطفى السيد فى مقدمة زعمائها البارزين المعدودين فى ميادينها السياسية والعلمية والاجتماعية .

فقد عاش فقيدنا العظيم لمصر وللعروبة واللغة العربية وللعلم والتعليم والحرية ، وامتدت حياته الى ما أناف على التسعين ولكنها كانت حياة نافعة، ذات أهداف ومبادىء ومثل عليا .

ولقد كانت مبادىء لطفى السيد فى السياسة والأدب والفلسفة والأخلاق والاجتماع والتعليم هى أهم الدعائم الكبرى التى قامت عليها نهضتنا الحديثة منذ أوائل القرن العشرين ، وكانت هى المبادىء المثلى التى قامت عليها نهضات الأمم الراقية التى تعرف حقها فى الحياة وحقها فى الحرية والكرامة والتى ظفرت بشخصية قوية لا تعتمد على غيرها ولكنها تنبع من صفاتها ومقوماتها وتصدر عن أهدافها الحرة المستقلة وتجعل لها مكانة محترمة فى الميدان الدولى .

وكان أول من حارب التبعية السياسية فى الوقت الذى كان زعماء الوطنية ينادون بتبعية مصر لتركيا ، وأول من دعا الى « مذهب الحرية » فى الشرق العربى ، وكان على صواب حين فرق بين«الحريين»و«الأحرار» فى الجماعات والأفراد والأحزاب ، لأن الناس قد يكونون أحرارا أى ليسوا عبيدا لأحد ولكنهم ليسوا بحريين أى فى دعاة الحرية «كالمحافظين» فى بريطانيا .

وقد علم الشعب فى كتاباته معانى الديمقراطية ، ومعانى الحكم الديمقراطي ، وحارب الحكم الشخصي والحكم القائم على المنافع الشخصية

كحكم المماليك والأمراء المستبدين من حكام الشعوب ، وكتب فى الحرية أكثر من خمسة عشر مقالا بعدة عناوين ، منهـا : « معنى الحرية » و « الحرية الشخصية » و « الحرية والأحزاب » و« الحرية وحقوق الأمة » و « الحرية ومذاهب الحكم » و « حرية التعليم » و « حرية القضاء » و « سـلطة التشريع » و « حرية الصـحافة » و « حرية الخطابة » و « حرية الاجتماع » .

وكان أول من دعا الى تقوية الوحدة القومية بين المسلمين والأقباط فى مصر بتوحيد عنصرى الأمـة حتى لايجد المحتلون ثغرة سياسـية ينفذون منها الى استغلال الخلاف بين العنصرين لمصـلحتهم وتحطيم اليقظة الوطنية .

وكان أول من دعا الى تقوية الشخصية الوطنية والنظر فى الامور السياسية من وجهة المصلحة القومية وحدها ومصلحة أبناء البـلاد ... وقد عنى كل العناية بتدعيم الكرامة الشخصية والكرامة الوطنية وحفز الشباب الى الأخذ بأسباب التقدم والتزود ما استطاعوا من منـاهل العلوم والفنون والآداب والاسهام فى الابحاث العلمية والمؤتمرات العالمية وكان يحضهم على الصراحة والشجاعة . وهو شجاع صريح فى الدفاع عن الكرامة القومية ، وعما يعتقده من أفكار وآراء ، ولم تكن هناك قوة تحول بينه وبين المجاهرة بمبادئه ونزعاته . ولو كانت تلك القوة قوة الحكومة أو قوة المستعمر أو كان الوزير الذى يعارضه من أصـدق أصدقائه ...

وهنا نذكر حادثا وقع بينه وبين صديقه أحمد حشمت « باشـا » وهو عم صديقه الحميم عبد العزيز فهمى « باشا » وكان وقتئذ وزيرا للمعارف المصرية وقد أعد مشروعا يخول وزارة المعارف مراقبة معاهد التعليم الحر . وكان هذا المشروع يتضمن امورا لم تصادف موافقة لرأى « أحمد لطفى السيد » لأنها تنافى حرية التعليم فعارضها فى جريدته بعدة مقالات أغضبت حشمت باشا .

ولم يكتف لطفى السيد بالكتابة معارضا لهذا المشروع بل ذهب الى اللورد كتشنر ـ المعتمد البريطانى فى ذلك الحين ـ لعلمه أن الوكالة البريطانية وقتئذ هى مصدر الموافقة على هذه المشروعات التى تقيد حرية البلاد .

ولما لم يكن اللورد كتشنر موجودا فقد قابله المستر ستورس السكرتير الشرقى للوكالة البريطانية وأخبره أن اللورد كتشنر اطلع على مقالاته ويريد منه أن يناقش حشمت باشا فى هذا الموضوع فأظهر استعداده لمقابلته فى الوزارة ومناقشته فى اعتراضاته .

وفى اليوم الثانى قصد لطفى السيد نظارة المعارف وفاء بوعده واستيفاء بوعد حشمت باشا ، واستأذن فى مقابلته فأخبره مدير مكتبه « رشدى بك » أن سعادة الناظر حشمت باشا يعتذر اليوم عن مقابلته لضيق وقته وكان هذا الاعتذار غريبا ـ فسأله لطفى السيد أن يطلب منه تحديد موعد آخر فعاد يقول أن سعادة الناظر لايستطيع الآن تحديد موعد لمقابلته ، فأدرك مدير تحرير « الجريدة » معنى هذه الصيغة المألوفة لرفض المقابلة .. ذلك الرفض الذى لم ينتظره من الصديق الذى يكبره فى السن ولا يكبره فى المكانة الاجتماعية والعلمية ولو كان من الوزراء .

عاد أحمد لطفى السيد الى مكتبه فى الجريدة غاضبا وشاء أن ينقل غضبه واحتجاجه الى الوزير الصديق بأسلوبه الخاص فكتب اليه خطابا تاريخيا حمل فيه حملة شعواء وألقى عليه درسا فى المبادىء التى يجدر بوزير المعارف أن يتبعها وأن يعامل بها الناس ، وقد اطلعنى ـ رحمه الله ـ على هذا الكتاب الذى أبى أن ينشره فى كتابه (قصة حياتى) لأنه كان يرى أن حشمت باشا ـ وقد انتقل الى جوار ربه لا يجمل أن ينتقده أو يذكره بسوء وأنه من الاحترام للأموات ألا يقدم هو على نشره ما دام ميتا .

ولكننى وقد توفى لطفى السيد الى رحمة الله أنشر للتاريخ جانبا من هذا الخطاب .. قال لطفى السيد معاتبا حشمت باشا بعد سطور ذكر

فيها وعده اللورد كتشنر بمقابلته واخلاله لهذا الوعد بالصورة المؤلمة التى لاتليق بمثله ..

(.. فان كنت أردت أن تحط من كرامتى فقد أخطأت الفهم لأنه يستحيل أن يحط منها عمل غيرى ولا أظن أن هذه الاهانة الا لاحقة بشخصك وبفخامة اللورد كتشنر الذى لولا أنى اتبعت مشورته ولولا أن سكرتيره أخبرنى بوعدك بمقابلتى لما أتعبت نفسى بزيارتك ...)

ثم قال فى عبارة قاسية :

(ومن المحزن أن يكون مظهر قدرة الوزير حاجبا يمنع طلاب الخير ، ومبلغ حريته من العمل أن يرفض مقابلة من لا يشتهى مقابلته ، فان أقصر الناس باعا لايعجز عن التمتع بهذه الحرية وتلك المقدرة ..) الى أن قال فى تهكم وسخرية بالغة :

(أو ليس من المحزن أيضا أن يكون العامل الأكبر من تقدير رجالنا التفاوت فى الألقاب ، وأن تكون فكرتنا من الحياة الانسانية سطحية ساذجة الى حد أن ينزل الرجل فيها عن شخصيته فيحب لا بدافع ذاتى بل عن غيره ويبغض لا بدافع ذاتى ولكن بالوكالة عن غيره أيضا ..)

« والا فقل لى يا سعادة الباشا ، ما الذى غير بيننا ما كان من المجاملة والمعاملة . هل أنك ظننت أن أبواب عابدين موصدة دونى .. »

(وهب انها كذلك فهل يليق ؟ .)

« على أن أبواب عابدين مفتوحة لى كما هى مفتوحة لك .. وان كنت فى شك من ذلك فاسأل بعض زملائك .. »

هذه سطور من ذلك الكتاب الخاص الذى يصور غضبة لطفى السيد لكرامته وهو يسعى فى سبيل الخير العام ويدافع عن الحرية . ولقد كانت مقالاته فى الجريدة على بلاغتها ووقارها تتضمن فى نقدها ايلاما بليغا .. وحدث حوالى سنة ١٩٠٨ أن عين الانجليز «المستر هيل» ناظرا لمدرسة الحقوق ولم يكن هذا الناظر حائزا على شهادة الحقوق فصار يسافر كل عام الى

فرنسا ليؤدى الامتحان فيها ، فكان لضعفه يرسب فى القانون الجنائى فأخذ لطفى السيد ينتقد تعيين المستر هيل ناظرا لمدرسة لا يفقه العلوم التى تلقى فيها ، ولكن الانجليز لم يذعنوا لمعارضته فأراد أن يحاربهم بطريقة ايجابية.. فعمد الى انشاء فصل فى دار الجريدة لتعليم طلبة الحقوق مادة القانون الجنائى على أشهر المحامين المصريين وكان من هؤلاء الطلبة محمد حسين هيكل . يقول فى ذلك : (لقد كان لطفى السيد يدرس فينا بعد خروجنا من مدرسة الحقوق على طريقة المشائين (أفلاطون وجماعته) . ويدلنا على الكتب التى نقرؤها وكان هو أكثر من قرأ فى هذا البلد قراءة قيمة منظمة فكانت أحاديثه وتوجيهاته على أحسن ما تكون من السداد والفائدة لنا نحن الشباب فى ذلك الزمان) .

ولقد كانت صحيفة (الجريدة) المدرسة الكبرى للمبادىء السياسية والأدبية والاجتماعية التى بشر بها بين أبناء العروبة وكانت هى الوسيلة التى نشر بها على الناس مبادئه وأفكاره الى ما كان يلقيه من خطب فى القاهرة والاسكندرية فى النوادى والمحافل العامة . حتى أثرت هذه المبادىء وكان لها شأنها فى الشرق العربى وقد حادثته يوما وهو وزير الخارجية فى احدى الوزارات السابقة فسألته لماذا أغلق (الجريدة) وانصرف عن الصحافة الى ترجمة أرسطو فقال :

(لقد قبلت التحرير فى الجريدة لأنشر فيها المبادىء المثلى التى آمنت بها لقيام حياة ديمقراطية سليمة فلما انتهيت من نشرها أغلقت الجريدة وانصرفت عن العمل بالصحافة لأننى لم أكن أشتغل بالصحافة محترفا بل كنت صاحب رأى وصاحب مبادىء ديمقراطية لارشاد الأمة الى أسباب الرقى والتقدم .

وقد صدرت (الجريدة) فى مارس ١٩٠٧ م وأغلقت فى نوفمبر سنة ١٩١٥ م أى أنه ظل يدعو الى مبادئه نحو ثمانى سنوات وثمانية أشهر ، كان يكتب فيها معظم الافتتاحيات ويتناول فيها كثيرا من الموضوعات السياسية والاجتماعية ، يتناول الكتابة فى العلم والتعليم وفى الفلسفة والأدب والطبيعة وكانت مقالاته وخطبه ومحاضراته مدبجة بأسلوب رفيع

كأنها معدة لأن تكون فصولا لمؤلف من المؤلفات لا مقالات لصحيفة سيارة .

ولهذا كانت صحيفة الجريدة فى الجيل الماضى مدرسة عامة لأبناء البلاد يأخذون عنها مبادىء الوطنية ومبادىء الحياة الراقية والارشادات الموجهة الى المثل العليا . وقد كتب لطفى السيد فى افتتاحية الجريدة يقول عن الصحف :

« الناس بطبائعهم اشتات فى الرأى ، كما قيل للناس عدد رؤوسهم آراء وهم فى البلاد الحديثة العهد بالرقى ينصرف كل منهم غالبا عن التفكير فى الأمور العامة الى تدبير حاجتهم الخاصة حتى ترشدهم الصحف كل يوم الى أن لهم وجودا عاما هو غير الأول وأن بهذا الوجود العام كما لا يجب أن يرقى اليه بعمل الأفراد .

« وعلى هذا تكون الصحافة هى الالة الكبرى للارشاد والرقابة .. وان أولى الجماعات بواجبات الخدمة القومية ومراقبة الأحوال العامة وأقدرها على العمل لتكوين الرأى العام ، جماعة أولى الرأى .

« وهم الذين نبهوا ذكرا بعلو الهمة أو بالعلم أو الفضل ــ أولئك اذا انصرفوا عن الأشغال بحاجات الأمة عن نشر التعليم والعمل على الترقية والصناعة والزراعة والتجارة والأخذ بنصيب الرقابة العامة ، وقفت الأمة عن التدرج فى مواقف المدنية الصحيحة خصوصا فى حالها النظامى ، وصار الأمر فيها مفوضا الى رغائب الحكام يميلون بها حيث يشاءون .

ولقد كانت كتابات لطفى السيد وبحوثه تهدف دائما الى المصلحة القومية ولا تقوم على العواطف الشخصية لأن السياسة هى تدبير شئون الأمة . والرجل السياسى هو الذى يعمل لمصلحة الأمة بعيدا عن عواطف البغض والكراهية أو عاطفة التحمس الوقتى.ولذلك كان يرى ألا تكون الأعمال السياسية ألعوبة فى أيدى العواطف بل يجب أن تكون قاعدتها المنفعة لأننا فى زمان لا يعرف السياسة الا المنفعة ... »

وكان يحمل على بعض الكتاب الذين تدفعهم عواطفهم الى الحاجة المطلقة دون النظر الى رعاية المنفعة وتوخى المصلحة العامة فيما ينقدون ويكتبون فقال فى احدى مقالاته :

(رحماكم يا أقارب الأقلام لا تغرروا بهذه الأمة التعسة ولا تكونوا للزمان عونا عليها وأخلصوا لها النصح وذروها فى هـذه الفترة هادئة تتكون قوتها من الباقيات الصالحات لا من الكلمات الطائشات . وأعطوا العقول حقها من حرية التفكير والألسن قسطها من حرية القول والنفوس قسطها من الجرأة وبينوا لها الفرق بين مواطن الانتقام ومواطن التكريم وبين انتقاد الأشخاص وانتقاد الأعمال ، ولا تـكن الأقلام فى أيديكم كالمعاول يهدم بها بناء الأخلاق أو كالحجب تستر بها ضـيـاء الحق أو السهام تهلهل بها أعراض الاشخاص » .

وحين قرأ خطبة كرومر التى من فيها على المصريين بأعمال الانجليز رد عليها فى عدة مقالات ردا لا يقل عنفا عن الجرائد الأخرى ان لم يزد عليها قوة وبلاغة منطق .

وقد نهض لطفى السيد بعد ذلك بالرد على كتاب (مصر الحديثة) الذى ألفه اللورد كرومر وصدر بعد عام من خروجه بل تناول هذا الكتاب بالنقد البليغ ونشر عدة مقالات طويلة فى الجـريدة بدأها فى ١٤ مارس سنة ١٩٠٨ م بعنوان (الانجليز فى مصر) وشاء أن يكون هذا العنوان لكتاب يطبعه فيما بعد ، ولذلك قال فى أول مقالة من هـذه المقالات :

« هذا عنوان الكتاب الذى نحاول وضعه لبيان خطأ اللورد كرومر فى كتاب مصر الحديثة وبيان سياسة الاحتلال فى مصر والسودان وهو الذى وعدنا بترجمته الى الانجليزية وتوزيعه فى أوربا وينقسـم الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول ــ فى الاسلام ويشمل الكلام على مثار الخطأ فى فهم الاسلام عند الاوربيين الحسنى النية وبيان مقاصد غلادستون واللورد

كرومر من الطعن عليه ، والكلام عن الديمقراطية الاسلامية وانها تفضل بنظامها كل ديمقراطية أخرى من الوجهة الاجتماعية والسياسية والكلام عن المرأة والرق فى الاسلام وما ظنه اللورد مغمزا وليس بمغمز .

القسم الثانى ــ الحالة الاجتماعية فى مصر .

القسم الثالث ــ سياسة الانجليز فى مصر والسودان .

« وانا ننشر فى الجريدة من هذا الكتاب ما يحتمل المقـام نشره فى الجرائد اليومية أو ما يكون للكافة مصلحة من نشره .. »

وكانت المقالة الأولى من القسم الأول عن النظام الاجتماعى الاسلامى ومثار خطأ الأوربيين فى فهمه وفهم الدين الحنيف وقد رد على اخطاء اللورد كرومر واخطاء الأوربيين فى هذا الموضوع ردا قويا مؤيدا بالبراهين فى أسلوب رفيع يزيده العلم والمنطق والتاريخ قوة على قوة .

ولم يكن الاعتدال سبيلا الى ضعف الحجة ولا سببا فى السكوت عن الحق ، بل انه كان فى أول عهده بالكتابة السياسية يتبـع المحاسنة فى المساجلات والمناقشات السياسية كأسلوب فى المناظرة والحوار ، ثم اندفع فى أسلوبه الوطنى بقوة ممزوجة بالأدب خاصم بها الخديو وخاصم بها المستعمرين وصارت الجريدة لسان الأمة كلها لا لسان لحاكم واحد أو لسان حزب واحد .. فاذا كانت جريدة المؤيد لسان الخديو عباس وكانت اللواء لسان الحزب الوطنى برياسة مصطفى كامل ، فقد أصبحت « الجريدة » ــ بفضل لطفى السيد ــ جريدة الأمة المصرية وعنها أخذت الأمة مبادىء الحرية والدعوة الى النهوض بالتعليم واصلاح الحيـاة الاجتماعية والأدبية اصلاحا لايناقض الدين ، ولا ينافى كريم الأخلاق .

ولقد كانت هذه هى الخطة التى سار عليها فى سياسته ودعا اليها فى بحوثه فى الكفاح باسم الأمة ضد الانجليز ، وضد حكومة الخديو التى كان يدعوها باسم « الحكومة الشخصية » وقـد حمـل على هاتين السلطتين حملات شعواء وخص سياسة الوفاق التى صـادفت ظهور الجريدة بالنقد لأنها كانت على حساب الدستور وهضم حقوق الأمة ،

وكان دائما يطالب بحقوق الأمة وينبــه الانجليز تارة والخديوى تارة ثانية والوزراء تارة أخرى الى هذه الحقوق . وقد تخلل حملاته على هذه الجهات الثلاث دروس ألقاها على الانجليز فى حكم الشعب وعاقبــة الاستبداد والاستغلال للأمم الضعيفة وعلى « الخديو » فيما يجب عليه من توخى المصلحة العامة وفيما يجب عايه من احترام رغبات الأمة .

أما الحياة الاجتماعية فقد عنى بها لطفى السيد عناية كبيرة ولم نر صحيفة أخرى عنيت بالمجتمع المصرى وبالحياة المصرية كما عنيت «الجريدة» فقد كانت تتناول بالاصلاح كثيرا من نواحى الحياة الاجتماعية فى مصر ـ سواء فيما يتعلق بموظفى الحكومة أو رجال التجارة والصــناعة والزراعة . وكان يعنى بتقوية الشخصية الاجتماعية عناية خاصة ، فقد عاب على المجتمع المصرى ضعف الشخصية وقال عنه أنه مجتمع فاقد الشخصية .

وقد اهتم لطفى السيد بحياة المرأة المصرية وحقوقها الشرعية والاجتماعية اهتماما كبيرا وناصر « قاسم أمين » فى دعوته الى تحرير المرأة وأشاد بآرائه ووصفه بأنه فيلسوف مفكر وانه بكتابه « المرأة الحــديثة » و« تحرير المرأة » قد أضاء للمرأة ظلمات الحياة فشغل قلمه ونفســه وفكره باصلاح التعليم واهتم به أيضا اهتماما لا يقل عن اهتمامــه بالسياستين الداخلية والخارجية . وقد قامت آراؤه فى التعليم على أن الانسان خير (بتشديد الياء) بطبعه كما قال روسو وانه قابل للتربية والتهذيب وان الغرض من التربية والتعليم هو تحقيق التوازن النفسى والخلقى فى الفرد والأمة وان التعليم يحقق أكبر قدر ممكن من التشابه بين أفراد الأمة الواحدة وهذا التشابه يحقق الألفة والتضامن ووحــدة الأمة وهذه الوحدة هى الطريق الوحيد للرقى والتقدم .

وقد خدم لطفى السيد اللغة العربية والأدب العربى خدمات جليلة وكان له فى هذا الميدان من الآراء والمبادىء ما حققتها الأيام فيما بعد وأخذت بها الأوساط الأدبية واللغوية . ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان مجمع اللغة العربية قد أخذ بهذه الآراء بعد مضى نحو أربعين عاما عليها.

وقد دافع عن اللغة العربية دفاعا مجيدا ودعا الى تطعيمها تطعيما يلائم التطور الحديث .

أما الأدب فقد عنى لطفى السيد بالادب الانشائى والتأملات الفلسفية أكثر من عنايته بالأدب الوصفى ونعنى به أدب النقد والتاريخ.. وان كانت الجريدة قد ظهر فيها من الكتاب الشبان من عنى بالنقد الأدبى ونظم الشعر كالشاب « طه حسين » والشاب « محمد حسين هيكل » وعباس العقاد وعبد الرحمن شكرى ، فقد كان لطفى السيد مشغولا بالسياسة والدفاع عن حقوق الأمة والاصلاح الاجتماعى وكان نقده واسلوبه الانشائى الرفيع يتجه الى الحالة السياسية أكثر مما يتجه الى الموضوعات الأدبية البحتة ، ولكننا رأيناه حين ظهر كتاب « تاريخ آداب العرب » لمصطفى صادق الرافعى سنة ١٩١٢ م وأحدث فى ذلك الحين ضجة بين الأدباء تناوله بالعناية وقرر فى بحثه النفيس عن هذا الكتاب مبادىء فى الأدب والاديب وعلم الأخلاق ، وقد رسم حدود الأدب وعلم الأدب وحدود الأديب وعلم الأخلاق ورأى أن الأدب وتاريخ الأدب من أقوى مشخصات الأمة التى تربط ماضى حياتها بحاضرها ويحدد ماهيتها ويميزها عما عداها فتستمر شخصيتها وتتسع بذلك دائرة المشابهات بين أفرادها ، وتقوى راوبط التضامن فيهم فضلا عما ما يكتبه الباحث فى الأدب من رقة العاطفة وحسن الذوق والقدرة على جمال التعبير عما فى نفسه من العواطف والأفكار ويحمل الناس على الاصغاء اليه وقبول مذاهبه قبولا حسنا فالأدب فى كل زمان هو الأداة الاصيلة فى شيوع المذاهب فمن الغفلة أن يغمط حقه بين المعلومات الانسانية الاخرى .

رحم الله أستاذ الجيل ، وعظم الله فى فقده العلم والأدب .

فى ذكرى معلم الجيل

للأستاذة نظلة الحكيم

قوموا جميعًا معى يا أهل إقليمى ... نُزْجِى المديحَ بإِجلالٍ وتعظيمِ
ولا تقولوا بهذا الحفلِ مَرْثِيَةً ... من أى قلبٍ ـ بهَوْلِ الخَطْبِ مَكْلُوم
معلمُ الجيل حيٌّ خالدٌ أَبدًا ... أما الذى ماتَ ـ جسْمٌ غيرُ معصوم
قد كان أحمدُ بين القومِ سيدهُمْ ... من فيضهِ كَرَّموهُ خيرَ تكريمِ
وتلك آثارُهُ ـ الناس تَلْمَسُهَا ... فى كُلِّ جيل . حديثِ العهدِ وقديمِ
ففى الجريدة كم كانت روائعه ... تَزينُ أَنهارها كالدرِّ منظوم
فيها السَّدادُ ـ وفيها الرأَىُ يُعْلِنُهُ ... حُرًّا صريحًا جريئًا غيرَ مكتوم

...

وكان مفهومُهُ فى الخير فلسفةً ... تحمى الحقوقَ ـ وتُرْضِى كلَّ مظلومَ
كم ساوَمُوهُ على امرٍ يرادُ بهِ ... غَمْطُ الحقوقِ ـ فَمَا فازُوا بتسليمِ
ثم استقالَ ـ لأَن القوم قد ظَلَمُوا ... «طه» العميد ـ لأَمر غير مفهومِ

...

وكان مبدؤُه استقلالَ مصر علَى ... أَساسِ وعْيٍ وتصنيعٍ وتعليم
وكانَ يهدفُ فى أُولى مراحِلِهِ ... وهو الوزيرُ ـ لإِصلاحٍ وتعميم
وحذَّرَ الشعبَ أَنْ يرضى بِقِسْمَتِهِ ... فالفقرُ والجهلُ رزءٌ غيرُ مقسومِ
وثم جامعةً للشعبِ قد ظَفِرتْ ... منهُ بأَكبر تَأْييدٍ وتدعيمِ
بفضلِه جامعاتُ العلمِ قد فُتِحَتْ ... لكلِّ طالبةٍ من غير مرسوم

وكان فى اللغةِ الفُصْحى ومَجْمَعِهَا نَهْرًا يفيضُ بمنطوقٍ وَمرْقُومِ
وكان يحفظ آى الذكر من صغرٍ وطالما كان يتلوها بِتَرْتِيمِ
أَوقاتُه كلُّهَا ـ بالعلمِ قد شُغِلَتْ ما دام للعلم أضحى جَدُّ مَنْهُومِ
ففلسفاتُ أَرسطو راح ببعثُها مُتَرْجَماتٍ ـ وَيجْلُوهَا بِتَقْويم
ما كان منها يُفُيدُ العصرَ طَبَّقَهُ وكلُّ فِكْرٍ بِمِقْدَارٍ وتَقْيِيم

• • •

وكانَ يَحْتَجُّ باسمِ « الوفد » فى شَمَمٍ على احتلالٍ ـ ثقيلِ الظلِ مشئومِ
إن كانت « انجلترا » ليثًا يُهددُنا فإن أَظفارهُ أَولَى بتَقْليمِ
لا يرتقِى بلدٌ ـ يرجُو المعونَةَ مِنْ شعب سواهُ ـ بِلاَ عزمٍ وتصميمِ
حريةُ الشعب أَمرٌ لازمٌ وبــهِ كلُّ الضمانِ لحقٍ غير مهْضُوم
وحقَّقَ الجيشُ فعلا ما تَنَبَّأَهُ بِحُكْمِ منطِقِهِ من غير تَنْجِيمِ
وفى السياسة كم أَبدى كراهيةً لكل محترف يالغُـنْمْ مَوْصُومِ
وفى « القَنال » له رأى نُسَجِّلُهُ فمن زمانٍ مضَى نَادى بتـأْمِيمِ
مَا غَرَّهُ الجاهُ أَو أَغراه منْصِبهُ والجاهُ فى أُسْرَتَيْهِ جدٌّ مَعْلُومِ
ولا تَباهى بالقابٍ ولا رُتَبٍ ولا مَظَاهِرِ تشريفٍ وتفْخِيمِ
ذكراهُ تَبْقَى على الأَيام عاطرً تَسْمُو بإِقليِمِنَا بين الأَقالِيمِ

نظله الحكيم

لماذا اخترت أحمد لطفي السيد موضوعا لرسالة الدكتوراه

كلمة الدكتور حسين فوزي النجار

حين اتخذت الجريدة — وهى الصحيفة التى كان يحررها أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد والتى غدت طوال سنوات صدورها مدرسة فكرية تتلمذ فيها على يديه كل أئمة الفكر وقادة النهضة المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين — حين اتخذت الجريدة أو على الأصح فترة من حياة أستاذ الجيل موضوعا لرسالة الدكتوراه كنت أنشد من وراء هذا البحث ابراز العوامل الحقيقية التى لعبت دورها فى تاريخ مصر المعاصر ، والتى أخذت تؤثر وتتأثر بكل ما ينبض به قلب مصر فى تلك السنوات التى شهدت امتداد الموجة الغربية بكل ما فيها من محاسن وأضداد الى تلك البقاع العربية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط بعد أن خيمت عليه العزلة التى ضربتها الدولة العثمانية على أملاكها ردحا من الزمن كانت أوربا الناهضة المتوثبة تتجنبه خلالها وتشق طريقها الى الشرق البعيد لا تلقى بالا الى هذا الشرق القريب بعد أن عرفت طريقها عبر البحار الواسعة الى عوالم فسيحة لم تطرقها قدم أوربى من قبل ، فما من شك فى أن قدوم الحملة الفرنسية الى مصر فى أخريات القرن الثامن عشر قد خلف آثارا بعيدة المدى لا فى مصر وحدها بل وفى البلاد العربية المجاورة التى اعتادت طوال تاريخها أن تتلقى عن مصر كل اتجاه أو نزعة الى التجديد ولا سيما فى ميادين الفكر والثقافة .

ولم يكن أقل هذه الآثار عنفا أن الشرق العربى وخاصة فى مصر قد أخذ يستيقظ على دنيا جديدة أنكرها فى بداية أمره ، ثم راح يتحسسها حتى رأى الخير فى أن يرود آفاقها ليتعرف على حقيقتها ، ثم رأى نفسه

منساقا اليها ، متأثرا بها ، بل تمثل أعنف ما فيها ، هذا الصدام الفكرى بين الفكر الشرقى فى جموده ومحافظته والفكر الغربى فى تحرره وانطلاقه .

ولقد بلغ عنف هذا الصدام مداه فى مصر فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، حين طغت الموجة الغربية وجرفت كل ما فى طريقها من سدود وقيود ، وأخذ روادها ودعاتها يؤكدون حيويتها فى كل مايسفر عنه التقدم السياسى والفكرى والاقتصادى والاجتماعى فى أوربا من آثار وقف الشرق أمامها عاجزا مبهورا يتأمل أسباب هذا التقدم فيقيسها الى تخلفه ويرى الهوة واسعة بينهما ، ويومذاك أخذ هؤلاء الرواد الأوائل كل فى ميدانه يؤكد الأخذ بأسباب الحضارة الغربية ومراميها ، فرأينا بذلك اللبنة الأولى فى تطور المجتمع الشرقى لا فى مصر وحدها بل فى كل البلاد الشرقية الأخرى التى قبعت المرأة فيها عاطلة وراء أستار الشك والجهل ، ورأينا الدعوة الى التمدين الغربى والأخذ بأسباب الحضارة الأوربية ينادى بها مصلح الاسلام الكبير جمال الدين الأفغانى ، ورأينا حركة الاصلاح الدينى يقودها الامام محمد عبده ، كما رأينا محاولات جادة لاصلاح نظام التعليم ومناهجه وخططه وأهدافه تستوعب جهود المصلحين جميعا داخل وزارة المعارف وخارجها على حد سواء ، فلم تخل حركة اصلاحية حينذاك من البدء بالتعليم واعتباره أساسا لكل تقدم ولبنة صلبة فى كل اصلاح .

ثم رأينا آثار الموجة الغربية تمتد لتسع كل جوانب الحياة فى مصر ، فالدعوة الى التحرر الاقتصادى فى كل جوانب الحياة الاقتصادية تأخذ بلب طلعت حرب فيرسم خطوطها العريضة على صفحات الجريدة عام ١٩٠٧ ثم يقتحم بها الميدان غازيا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ويكسب النصر فى كل معاركها .

وما كانت دعوة أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد ــ مصر للمصريين ــ الا أثرا من آثار امتداد تلك الموجة الغربية ، فقد أخذت عبارة مصر للمصريين على يديه معنى جديدا غير ما عرفته الثورة العرابية فلم تكن

لدى العرابيين لتعنى أكثر من مساواة المصريين بالترك ، أما فى خاطر لطفى السيد فقد التبست بتلك المعانى القومية التى سادت أوربا فى القرن التاسع عشر حيث تتمثل الدولة القومية فى سيادتها على أراضيها ، وفى نوع العلاقة التى تربط بين الحاكم والمحكوم واعتراف المجتمع الدولى بها كدولة مستقلة ذات سيادة ، ويعنى ذلك بالنسبة لمصر انفصالها عن تركيا وتحررها من الاحتلال البريطانى ، وقيام حكم دستورى بها وتحقيق كيانها العام فى المجتمع الدولى ، ولم يكن هذا الاتجاه القومى مفهوما فى مصر حينذاك حيث ارتبط الكيان العام للوجود المصرى بدولة الخلافة ، والرابطة العثمانية العامة ، وحيث تضمنت معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ تنظيم قواعد هذا الارتباط وأسسه .

لذلك بدت دعوة لطفى السيد غريبة على الأذهان حتى لدى أولئك الناس الذين يمثلهم وينطق بلسانهم على صفحات الجريدة من أعضاء حزب الأمة فما كانوا هم الآخرون يستسيغون هذا الاتجاه القومى الغريب عليهم وما كانوا يبغون أكثر من مشاركة الخديوى فى الحكم مشاركة تضمن لهم حماية مصالحهم .

وبدت دعوة لطفى السيد غريبة على الأذهان أيضا ، فقد اتجهت الحركة الوطنية اتجاها عثمانيا تحت زعامة مصطفى كامل واتخذت من معاهدة لندن ١٨٤٠ أساسا للمطالبة بالجلاء .

وكثيرا ما ارتدت تلك الموجة الغربية أمام صلابة الصخور التى تصطدم بها وما كانت تلك الموجة لتصدم غير صخور صلبة ، فاتهم قاسم أمين بالالحاد ، ولطفى السيد بالخيانة ، بل كاد يقدم للمحاكمة ــ بسبب دعوته « للاستقلال التام » ــ بتهمة الخروج على الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر . ولم ينج لطفى السيد من هذا الاتهام الا بأن رد بأنه لم يقصد الاستقلال الكامل ، وهناك فرق بين الاثنين بدليل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » ويقول لطفى السيد انه لم يندم على قول قدر ما ندم على هذا القول . وحين طالب باستقلال مصر عن الدولة العثمانية أثناء الحرب

الايطالية التركية عام ١٩١١ وصف محمد سعيد باشا رئيس النظار ذلك « بأنه الخيانة العظمى » .

ولكن سرعان ما طغت تلك الموجة الغربية وجرفت أمامها كل السدود والقيود وأخذت الحياة تستقيم فى مصر على نهج غربى محافظ بمعنى الأخذ بأسباب التمدين الغربى مع الحفاظ على التقاليد والمأثورات القومية الصالحة ..

وقد حملت الجريدة فى تلك الفترة من حياة لطفى السيد دعوته قوية فى غير عنف تنشد الاصلاح والتطور نحو الكمال فى يقظة ووعى وايمان وصدق وهى صفات غلب فيها طابع الفيلسوف المفكر على طابع المناضل الثائر .

وحركة المد والجزر التى سادت مجتمعنا المصرى خلال القرن الأخير والتى شملت كل مناهج الحياة والفكر فى وطننا هذا ، هى التى حملتنى يوما أن اتخذها موضوعا لرسالة الدكتوراه فلم أجد أصلح من الجريدة ولطفى السيد موضوعا لها .

ولعلى بتلك المحاولة قد نجحت فى أن أطرق جانبا من جوانب تاريخنا القومى والاجتماعى ما زال غفلا لم تتناوله يد البحث والتنقيب ، وثمة ناحية أخرى تتمثل فيها انانية المؤرخ والكاتب حين يكتب عن شخصية يحبها ويصل بينه وبينها ، الا أنها فى الواقع ناحية يرى فيها المؤرخ ما ينشده من مثل أعلى ، يتمثل فى تلك الشخصية الباهرة التى يحبها ويكتب عنها فان الصلة التى تربط بينى وبين أستاذنا المغفور له أحمد لطفى السيد ، هى الصلة التى تقوم بين أبناء الاقليم الواحد ، وحين قدمنى اليه أستاذى وأبى الروحى المغفور له الدكتور محمد حسين هيكل عام ١٩٣٣ وكنت ما أزال بعد فى أول مراحل التعليم الثانوى ، بهرتنى شخصية التى تمثلت كل ما فى الريف من اصالة وعمق ورجولة تنمو مع أبناء الاسر الريفية الطيبة ، بعيدا عن عقد المدينة ومتناقضاتها ، وسطوة الحكم فيها ، فأستاذنا — المغفور له لطفى السيد — صورة رائعة لهذا الريفى المصرى الصميم فى أصالته ونبله ، أضفى عليه التمدين الغربى

والفكر الشرقى الذى تمثل حضارة الغرب والشرق ، كل جلال يضفبه التقدم والارتقاء على أصحابه ودعاته .

لهذا أحببت لطفى السيد ، وأحببت الكتابة عنه .

ثم أن لطفى السيد فضلا عن ذلك كله يمثل فى تاريخنا القومى نمو الأسرة المصرية الصميمة منذ أخذت تحتل مكانها القمين بها فى المجتمع المصرى ، وتزيح عنه الأسرة التركية بتقاليدها وعنجهيتها ، فان جيل لطفى السيد يمثل تمام اكتمال تطور الأسرة المصرية وظهورها وذوبان العنصر التركى فيها ثم سيادتها أخيرا ، وكان المغفور له لطفى السيد يمثل كما يقول عنه أستاذنا المغفور له عباس العقاد « عظمة الفلاح المصرى ويسموا بها على عظمة التركى » .

وقد عرفت أستاذنا العظيم أحمد لطفى السيد عن قرب بعد أن التحقت بالجامعة عام ١٩٣٦ ، ولكنه كان قليلا ما يظهر للطلاب على غير ما كان منه نحو أساتذتنا ، ولعله وقد اطمأن الى تلاميذه الذين احتلوا مكانهم فى الجامعة قد ترك أمانة التوجيه لهم وان ظل يرقبها من بعد . وقد ظن كثير من الطلاب أنه يسكن تحت قبة الجامعة برجا عاجيا لا يرى منه الآلاف من أبنائه الذين يردون ويصدرون عن هذا الحرم المقدس ، وقد تهيب بعض الزملاء يوما أن يلقوه فى شأن من شئون الألعاب الرياضية التى تهم الرياضيين من الطلاب ، وكان بعض أساتذتنا قد أهدى كأسا تتبارى عليه الطالبات فى كليات الجامعة وخافوا الا يأذن بذلك ، ووقع على يومها أن أواجه الموقف معه فكنت أعرف أنه يهوى الرياضة وبالذات ركوب الخيل وألعاب السيف ، فاطمأننت الى نفسى ، واطمأننت الى حسن لقائه ، وفرحت بهذا الأمر وان تهيبته ، فقد خفت ألا يأذن اشفاقا على الجامعة من بعض الرجعيين ، وأن تغلب الاناة عنده جمال الفكرة لديه ، فحرصت على أن أعرض عليه تصميما للزى الرياضى المقرر ، وأن أبرز ما فيه من حشمة ووقار يفوقان الحد .

ولقينى لقاء حسنا قضى على فرقى من لقائه ، وخاض معى فى أحاديث الرياضة ، وكان الزملاء يظنون أن الفيلسوف لا يمكن أن يكون رياضيا أو يهوى الرياضة لكثرة ما عانى الرياضيون حينذاك من سوء الظن بهم

ومن انصرافهم عن العلم الى اللعب . وطال اللقاء ، ولم أظفر بالاذن ، فلما اذن لى بالانصراف سألته وقد غاض كل أمل لدى فى حسن القبول ، ورد على : « وما لى آذن بأمر هو منكم واليكم وأنتم أصحابه فان كنتم تؤمنون به فسيروا على بركة الله والا فدعوه » . ولقيته بعد ذلك كثيرا وأنا أعد رسالتى للدكتوراه ، وناقشته فى أمور كثيرة وكان لى من رحابة صدره ما حببنى الى لقائه والاستماع اليه ولعل ما خضنا فيه من أحاديث الحياة والعلم كان أكثر مما تحدثنا فيه من موضوع البحث وكنت أتعجل البحث حتى يتم فى حياته وقد مد الله فى عمره بضع سنوات بعد ذلك .

ويوم المناقشة كان يوما حافلا لم أعلن عنه ولكنى وجدت المدرج وقد غص بجمع لم تشهده مناقشة رسالة من قبل ثم حملت اليه الرسالة بعد أن ظفرت بالدرجة مهداة الى أستاذ الجيل ، ولا أنسى ابتسامته وهو يقول : « أستاذ الجيل » ، ولم أعقب .

حضرات السادة :

لا يفوتنى أن أذكر فى هذا المقام ما لقيته من تشجيع أستاذين كريمين فى اعداد بحثى هذا هما المغفور له الدكتور محمد فؤاد شكرى ، والدكتور عبد اللطيف حمزة زميلنا الليلة ، مد الله فى عمره .

ولا يفوتنى أن أذكر عالما جليلا من الرعيل الأول كان له الفضل فى جمع آثار الجيل فوفر علينا مشقة السعى وراءها هو المغفور له اسماعيل مظهر .

لقد كتبت عن لطفى السيد كتابا آخر هو : « لطفى السيد والشخصية المصرية « وأنا بصدد كتابة سيرته لسلسلة « أعلام العرب » ولكنى لا أستطيع أن أقول أنى قد وفيت الرجل حقه ، فلطفى السيد ملحمة تاريخنا الحديث وهى ملحمة عزت نظيرا فى تاريخ الأمم وقل أن تعود :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وليست عشيات الحمى برواجع   اليك ولكن خل عينيك تدمعا

رحم الله أستاذ الجيل ، ورحم الله أساتذة لنا سبقوا الى جنة الخلود ، وعوضنا فيه ، وفيهم أحسن العوض .

كلمة الأسرة

ألقاها: السيد احمد لطفى السيد
نجل الفقيد

سيدى المحافظ اخوانى :

بعد كل ما قيل فى هذا الحفل ، وبعد أن استمعنا لقادة الفكر والأدب والعلم ، لم يتبق أمامى شيئا أقوله غير تقديم شكرى للسيد المحافظ الذى جمعنا لاحياء ذكر أب لنا جميعا وأبى بوجه خاص وأن أحدثكم عن الجانب الانسانى للراحل الكريم .

فى حياته الداخلية كان نفس هذا الرجل الذى نعرفه فى حياته العامة لا يلتفت الى صغار الأمور قوى الارادة صلب الرأى طيب القلب .

فى حياته الزوجية والأبوية كان مخلصا عطوفا الى درجة التضحية فلما ماتت أمى وكان سنى سنتين حزن عليها العمر ولم يتزوج حرصا على تجنبى مرارة حياة زوجة الأب وحفظا لذكراها وغيرة على حريته .

وأما كمربى فلم أره يوما عابس الوجه وكان أسلوبه فى التربية يعتمد على الاقناع وليس بالأمر والنهى والضغط حرصا على أن أنشأ فى جو من الحرية بعيدا عن الخوف والكذب .

وأختم كلمتى بأن أتمنى لبلادنا العزيزة أن لا يبخل الله عليها من أمثال لطفى السيد ليكونوا روادا لها نحو مستقبل عظيم .

فهرس

صفحة

صفحة

